مَعالِمُ التّجْدِيد عِندَ الشّيخ عَلي الْبِبْلَاوي (١٩٠٥م)

فِي إِعْجازِ الْقُرآنِ: دِراسَةٌ مَنْهَجيّةٌ تَفْسِيريّةٌ"

إعداد الدكتور

أحمد حسين مهدي الأكرت

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

جامعة الأزهر

معالم التجديد عند الشيخ علي الببلاوي (ت ١٩٠٥م) في إعجاز القرآن: دراسة منهجية تفسيرية

أحمد حسين مهدي الأكرت

قسم أصول الدين كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة جامعة الأزهر الشريف

البريد الإلكتروني: ahmadalakrat321@gmail.com

الملخص:

يدور هذا البحث حول ما ذكره الشيخ الببلاوي من طرق تنطلق بها الأمة نحو الإصلاح والترقي، وتبني تجديد دنياها بتجديد دينها، هذا التجديد تقوم دعائمه على تأصيل الثوابت ولا سيما الاستمساك بالكتاب المعجز؛ إذ هو معجزة متجددة العطاء يجد الناس فيه أتم ما يناسب أحوالهم. فهي تهدف إلى إبراز وجوه الإعجاز القرآني، والوقوف على الفكر المقاصدي للقرآن الكريم، واستخراج هداياته ومعرفة لطائفه وأسراره؛ إذ هو خير معين على تدبر آيات القرآن الكريم، والمنهج الذي سرت عليه: هو المنهج الوصفي التطبيقي الذي يجمع بين التأصيل والتطبيق عن طريق البحث عن الوسائل والسبل التي اتبعها الشيخ الببلاوي لتحقيق التجديد من خلال القرآن الكريم وإظهار وجوه إعجازه، ومدى الاستفادة من الإعجاز القرآني في العلاقات الإنسانية، وبيان الربط بين الإعجاز القرآني والتفسير الموضوعي

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، منها: أن الشيخ الببلاوي قد تكلم في التجديد ولم يتكلم عنه، التجديد ضرورة دينية، يقوم على الإحياء، ويؤسس على الاستنباط والتفكير.

وتوصي الدراسة بجملة من التوصيات أهمها: إبراز وجوه الإعجاز القرآني، والتعويل على الجانب التطبيقي في ذلك، بيان أثر الإعجاز في توثيق العلاقات الإنسانية وتنمية المواهب البشرية.

الكلمات الافتتاحية: الإعجاز القرآني، التفسير الموضوعي، العلاقات الإنسانية، الشيخ الببلاوي.

Signs of Renewal According to Sheikh Ali Al-Beblawy (d. 1905 AD) in the Miracle of the Qur'an: A Methodological and Interpretive Study

By: Ahmed Hussein Mahdi Al-Akrat
Department of Fundamentals of Religion, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys, Cairo, Al-Azhar University
Email: :ahmadalakrat321@gmail.com

Abstract:

This research revolves around what Sheikh Al-Beblawy mentioned about the ways in which the nation can move towards reform and progress, and build the renewal of its world by renewing its religion. This renewal is based on the foundations of constants, especially adherence to the miraculous book; as it is a miracle of renewed giving in which people find the most perfect thing that suits their conditions. It aims to highlight the aspects of the miracle of the Qur'an, and to stand on the purposive thought of the Holy Qur'an, and extract its guidance and knowledge of its subtleties and secrets; As it is the best helper in contemplating the verses of the Holy Quran, and the method that I followed: is the descriptive applied method that combines authentication and application by searching for the means and methods that Sheikh Al-Beblawy followed to achieve renewal through the Holy Quran and show the aspects of its miracle, and the extent of benefit from the Quranic miracle in human relations, and clarifying the link between the Quranic miracle and thematic interpretation. The study reached a set of results, including: Sheikh Al-Beblawy spoke about renewal and did not talk about it, renewal is a religious necessity, based on revival, and is founded on deduction and thinking. The study recommends a set of recommendations, the most important of which are: highlighting the aspects of the Quranic miracle, and relying on the applied aspect in that, clarifying the effect of the miracle in strengthening human relations and developing human talents. Opening words: Quranic miracle, thematic interpretation, human relations, Sheikh Al-Beblawy.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمد لله منزّل الكتاب، مجري السحاب، جاعل القرآن هدى وذكرى لأولي الألباب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى الآل والأصحاب، أما بعد،

فالقرآن الكريم كلام الله العظيم به من الكمال والجمال والجلال ما لله – تعالى- من الكمالات والعظمة والإجلال، ولولا أن الله – تعالى- يسّـر ذكره لنا، وخفف أمره علينا، فقال: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[1] لثقل علينا شأنه، وصعب علينا الوصول إليه، ولكن الله – تعالى- حثنا على تدبّره، وأمرنا بتفهّمه، وكلفنا بتنفيذ ما فيه، فقَدْ أَبَانَ اللهُ – تَعالَى- في آيَاتِه المُحْكَمات منَ الفَوائِد الجَليلَةِ، كَالعَقائِدِ الحَقّةِ، والمَواعِظِ، والأَحْكامِ الشّـريفَةِ، ما بَهَرتْ بَلاغتُه العُقولَ، وظَهَرتْ فَصاحَتُه على كُلّ مَعْقولٍ، وتَظافَرَ إيجازُه وإعْجازُه، وحَوَتْ كُلّ البَيانِ جَوامِعُه وبَدائِعهُ، واعْتَدلَ معَ إيجَازِه حُسْنُ نَظْمِهِ، وانْطَبَقَ علَى كَثْرةِ فَوائِدِه مُخْتارُ لَفْظِهِ.

فالقرآن الكريم معجزة متجددة العطاء، وأن تعدد وجوه إعجاز القرآن الكريم خير شاهد ودليل على مواكبته لكل عصـــر؛ إذ كلما جد في حياة الناس جديد وجدوا في القرآن إشـــارات إليه ودليلًا عليه، فيأخذ بأيديهم إلى أقوم طريق، وأهدى سبيل، فيتم التجديد في التحدي.

وكان لمشـــايخ الأزهر دور بارز في الانطلاق بالأمة نحو الإصـــلاح والترقي، وســـعادة الناس وتحقيق أمنهم واستقرارهم، ومن بين هؤلاء المشـايخ الأجلاء الشـيخ/ أَبو الحَسَـن عَليّ البِبْلاوي (ت ١٩٠٥م)، فقد كان مشغولًا بأمر التجديد ومهتمًا به؛ إذ يعتبر التجديد ضرورة دينية، وحقيقة واقعية، فالتجديد يقوم على الإحياء والانبعاث، ويؤســس على الاســتنباط والتفكير، وتزال به

(١) – سورة القمر الآية (١٧).

الشبهات والشكوك، ولذلك جاء هذا البحث وعنوانه: " معالم التجديد عند الشيخ علي الببلاوي (ت ١٩٠٥م) في كتابه: إعجاز القرآن: دراسة منهجية تفسيرية".

وتظهر أهمية هذا الموضوع أن التكلم في القرآن الكريم يكون بعقلية الدارس الباحث، وبقلب المحب العاشق، وأن الأمة لا بُدّ أن تأخذ من معاني القرآن الكريم ما تبني به تجديد دنياها بتجديد دينها، عن طريق تحقيق مقاصد القرآن الكريم واستخراج هداياته والاستفادة من إرشاداته في الانطلاق نحو الإصلاح والترقي.

وقد اشتمل البحث على **مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس فنية:**

المقدمة: وفيها الثناء على الله- تعالى- والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ ومكانة هذا الموضوع وأهميته، وخطة البحث، والدراسات السابقة فيه، ومنهجي في البحث وأهداف البحث.

التمهيد: ويشتمل على أمرين: الأول: بيانٌ لمعالم التجديد وضوابطه، والثاني: معنى الإعجاز وشروطه، ووجوه إعجاز القرآن.

المبحث الأول: الشيخ علي الببلاوي، وكتابه: إعجاز القرآن، وفيها مطلبان:

المطلب الأول: الشيخ علي الببلاوي: حياته وآثاره.

المطلب الثاني: منهج الشيخ الببلاوي في إعجاز القرآن.

المبحث الثاني: الإعْجاز القرآني وصِلَتُه بالتّفْسير المَوضُوعِي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حَديثُ القُرآنِ عنِ القُرآنِ.

المطلب الثاني: حَدِيثُ القُرآنِ عنِ الوَحْيِ.

المطلب الثالث: حَديثُ القُرآنِ عنَ العَقيدَةِ.

المبحث الثالث: أَثَرُ الإعْجازِ القرآني في العَلاقاتِ الإنْسَانِيّةِ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تكوين العقلية الإنسانية الإسلامية، عن طريق الذوق وتنمية المواهب.

المطلب الثاني: الإعجاز البلاغي ومستجدات العصر: رؤية قرآنية في آيات التحدي.

الخاتمة، ثم الفهارس.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والتنقيب لم أعثر على دراسات حول جهود الشيخ علي الببلاوي في الدراسات القرآنية اللهم إلا ما كان من تحقيق لكتاب: إعجاز القرآن للشيخ علي الببلاوي تحقيق ودراسة للباحث (تحت الطبع).

منهجي في البحث:

أما المنهج الذي سرت عليه، فهو المنهج الوصفي التطبيقي الذي يجمع بين التأصيل والتطبيق عن طريق البحث عن الوسائل والسبل التي اتبعها الشيخ الببلاوي لتحقيق التجديد من خلال القرآن الكريم وإظهار وجوه إعجازه، ومدى الاستفادة من الإعجاز القرآني في العلاقات الإنسانية، وبيان الربط بين الإعجاز القرآني والتفسير الموضوعي، فالشيخ اتبع في كتابه: إعجاز القرآن المنهج الوصفي التحليلي الاستنباطي، فقد جمع أكبر قدر ممكن عن وجوه إعجاز القرآن، وتعمق في دراسة هذا الموضوع؛ للحصول على خلاصة دقيقة تفيد القارئ وتسهم في معالجة إشكالية هذا الموضوع، ثم انتقل إلى التطبيق على بعض الجزئيات.

أهداف البحث:

إنّ الثمرة التي ينبغي تجنيها، والفائدة التي يتطلب الحصول عليها في هذه الدراسة أمور أهمها:

١-القرآن الكريم كتاب هداية وإعجاز، وذلك في كل عصر ومصر، وفي كل زمان ومكان يجد الناس فيه أتم ما يوافق حياتهم، وأوفى ما يحقق سعادتهم.

٢-الشيخ الببلاوي قد أوضح لنا سبل وسائل المعرفة، وطرق تكوين العقلية المثمرة المنتجة، والتي تعتمد على التفكير العلمي السليم، والأسلوب المنطقي القويم، والمواهب السوية؛ إذ بذلك يتحرر العقل من أوهام التقليد، ويتحقق لديه التميز والدقة في اختيار ما يلقى إليه من

علوم ومعارف.

٣- يؤخذ من معاني القرآن الكريم ما يؤصل بها قاعدة تربوية، تنطلق بها الأمة نحو الإصلاح والترقي، وتبني تجديد دنياها بتجديد دينها، هذا التجديد الذي تقوم دعائمه على تأصيل الثوابت، فيحدثون في العالم تقدمًا ورقيًّا، ويبنون حضارةً، ويصنعون تاريخًا، وينشرون سلامًا في ربوع العالم.

٤-يعتبر التجديد ضرورة دينية، وحقيقة واقعية، فهو يقوم على الإحياء والانبعاث، ويؤسس على الاستنباط والتفكير.

٥-من فوائد التفسير الموضوعي إبراز وجوه إعجاز القرآن الكريم على وجه يلائم أسلوب العصر؛ لِمَا احْتَواهُ من مَوضُوعاتٍ مُتكاثِرَةٍ معَ قِلّةِ حَجْمِه، ووَجَازَةِ لَفْظِه.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد .

الباحث

تمهيـــد

ويشتمل على أمرين: الأول: بيانٌ لمعالم التجديد وضوابطه، والثاني: معنى الإعجاز وشروطه، ووجوه إعجاز القرآن.

الأول: بيانٌ لمعالم التجديد وضوابطه:

يعتبر التجديد ضرورة دينية، وحقيقة واقعية، فهو يقوم على الإحياء والانبعاث، ويؤسس على الاستنباط والتفكير؛ إذ به تتحقق النهضة المرجوة، وتتمكن أصول العقيدة والقيم الإسلامية، وتزال الشبهات والشكوك، فالتجديد هو: (إحياء ما اندرس من دين الله، وإزالة الشبهات والغشاوات والجهالات عن مفاهيم هذا الدين؛ لأنه هو في ذاته وفي جملته وتفاصيله جديد لا يتقادم، وهو فينا اليوم كيوم نزل؛ لأن الله سبحانه أنزله للناس كافة في الأزمنة كلها، والأمكنة كلها، والأطوار الحضارية والثقافية كلها، وهذا من إعجازه، ومن سر الله فيه)[(١)]، فـ " التجديد أمر أصيلٌ في معارفنا وثقافتنا وديننا، فإننا نؤمن بتعرّض كل شيء- ما عدا الله جلّ شأنه- لقواعد القدم والبلى، وآثارها وسننها؛ لأن الزمن سائر إلى النقطة التي يَفنى بها كل شيء، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام؛ لكن لا بد من مقاومة ذلك بسنن إصلاح ما رَثّ، وتجديد ما تقادم، حتى يبلغ كل شيء أجله".[(٢)]

ومن معالم التجديد:

١-الاعتماد على الثوابت الدينية، والأصول الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال الصحابة والتابعين.

٢-مراعاة الدلالة اللغوية من أصول اللغة وعلمي النحو والصرف وعلوم البلاغة.

٣-اعتبار دلالات السياق، وبيان النظم، ومعرفة أسباب الورود؛ إذ ذلك خير معين على الفهم الواعي

---

(١) - من مداخل التجديد، أ.د/ محمد محمد أبو موسى، صـ ١٠، ط: مجلس حكماء المسلمين (١) ١٤٣٩ هـ =٢٠١٨م.

(٢) - مقالات في التجديد تقديم فضيلة الإمام الأكبر/ أحمد الطيب شيخ الأزهر، صـ ٥٢، ط: مجلس حكماء المسلمين (٢) ١٤٣٩ هـ =٢٠١٨م.

لمادة الخطاب، فيتجنب من خلال السياق عدم تجزئة النص وبتره عن سابقه ولاحقه.

٤-جمع المادة العلمية المرتبطة بهذا الموضوع، للوقوف على ما بينها من التماثل، أو التلازم، أو شبه التعارض، أو العموم والخصوص.

٥- تحقيق التوازن الدقيق في فهم وتطبيق النصوص بين الثوابت العامة والأصول الشرعية من جهة، والمتغيرات وتحقيق المصالح ودَرْء المفاسد المتجددة والمستقبلية للأفراد والمجتمعات من جهة أخرى.[١]

الثاني: معنى الإعجاز وشروطه، ووجوه إعجاز القرآن.

والإعجاز **لغة**: على وزن (إفعال) مصدر للفعل الرباعي: أعجز، ومعناه: الفوت والسبق، والعجز عن الشيء[٢].

واصطلاحًا، هو: أمرٌ خارقٌ للعادة، مقرونٌ بالتحدي، سالمٌ عن المعارضة [٣]، فهو عبارة عن فعلٍ يظهر على يدي مُدَّعي النبوة، بخلاف العادة، في زمان التكليف، موافقًا لدعواه، وهو يدعو الخلق إلى معارضته، ويتحداهم أن يأتوا بمثله، فيعجزوا عنه، فيبين به صدق من يظهر على يده، وما من رسول من رسل الله – تعالى- إلا وقد كان مُؤيدًا بمعجزةٍ أو معجزات كثيرة تدل على صِدْقِهِ.[٤]

(١) - مقالات في التجديد، صـ ٦٥ وما بعدها بتصرف.

(٢)- مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني صـــ ٣٢٢، ت/ صفوان عدنان، ط: دار القلم- بيروت، (١) ١٤١٢ هـ، تاج العروس ١٥/ ١٩٩، مادة (عجز)، ومادة (العجز) في القرآن وردت ستًّا وعشرين مرّةً، في صيغة الفعل الماضي، والفعل المضارع، وصيغة المبالغة، وجمع (عَجُز)، واسم الفاعل من (عاجز) بصورة جمع المذكر السالم، واسم الفاعل من (أعجز) بصورة المفرد، وبصورة جمع المذكر السالم.

(٣)- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٤/ ٣.

(٤) - التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين للإسفراييني صـــ ١٦٩، ت/ كمال يوسف الحوت، ط: عالم الكتب - لبنان، (١) ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م، ينظر: تفسير القرطبي ١/ ٧٨، ٧٩.

وأما وجوه الإعجاز فإنه قد اتفق كلّ من كتبوا في الإعجاز على أنّ القرآن معجزة، وأنّه دليل النبوة، فالإعجاز ذاته أمرٌ لا خلاف فيه، فهو أوضح من أن يختفي منه شيء على ناظرٍ ينظر إليه من أي اتجاهٍ كان، وأما وجوه الإعجاز فقد اختلفوا فيها، وفي ذلك يقول السكاكي: (اعلم أن قارعي باب الاستدلال بعد الاتفاق على أنه معجزٌ مختلفون في وجه الإعجاز)[١].

وقد أشار الشيخ الببلاوي إلى وجوه إعجاز القرآن وأنها عشرة مذاهب: (الْمَذْهَب الْأَوّل: مَذْهَبُ الصُّرْفَةِ، الْمَذْهَب الثّانِي: إنّما هُو الأُسْلُوبُ، الثّالِث: خُلُوّهُ عَنِ المُناقَضَةِ، الرّابِع: اشْتِمَالُهُ علَى الْأُمُورِ الْغَيْبِيّةِ، الْخَامِس: الْفَصَاحَةُ، السّادِس: اشْتِمَالُهُ علَى الحَقائِقِ، وتَضَمّنُهُ لِلْأَسْرَارِ والدّقائِقِ الّتِي لا تَزَالُ غَضّةً طَرَيّةً علَى وَجْهِ الدّهْرِ، لا تُنالُ لَها غَايةٌ، ولا يُوقَفُ لَهَا علَى نِهايةٍ، السّابِع: الْبَلاغَةُ، الثّامِن: النّظْمُ، التّاسِع: مَجْمُوعُ هَذهِ الْأُمورِ كُلّها، فَلا قَوْلٌ مِنْ هَذهِ الْأَقَاوِيل إلّا وهُو مُخْتَصٌّ بِهِ، فَيَجْعَلُ الْوَجْهَ فِي إعْجازِه مُجْمُوعهَا، الْعَاشِر: أَنّ الْوَجَهَ فِي إعْجازِه إنّما هُو ما تَضَمّنَهُ منَ الْمَزَايَا الظّاهِرَةِ، والْبَدَائِعِ الرّائِعَةِ الزّاهِرَةِ، فِي الْفَوَاتِحِ والْخَوَاتِمِ، والْمَبادِئِ والْمَقَاصِدِ فِي ابْتِدَاءِ كُلّ سُورَةٍ، وفِي مَبَادِئِ الْآيَاتِ وفَوَاصِلِهَا).[٢]

ثُمّ ذَكَرَ الوَجْهَ المُخْتار مِن ذَلكَ، وأنها الذي اشتمل علَى خَوَاصٍّ ثَلاثَةٍ هِي الوَجْهُ فِي الْإعْجازِ: الْفَصاحَةُ فِي أَلْفاظِه، الْبَلاغَةُ فِي الْمَعانِي، جَوْدَةُ النّظْمِ، وحُسْنُ التّأْلِيفِ).

(١)- مفتاح العلوم صـ ٥١٢، ينظر: إعجاز القرآن للباقلاني صـ ٣، دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني صـ ٣٨، ت/ محمود شاكر.

(٢) - المخطوط، صـ ٣٣وما بعدها، وينظر: مجلة روضة المدارس المصرية العدد (٢٢) من السنة (٣) الصادر في ٤ ذي القعدة ١٢٨٩ هـ المقالة السادسة، صـ ١٣ وما بعدها.

المبحث الأول

الشيخ علي الببلاوي، وكتابه: إعجاز القرآن

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الشّيخ/ عَليّ البِبْلاوِي: حَياتُهُ وآثارُهُ (١)

اسْمُه ونَسَبُهُ ومَوْلِدُه:

هُو أَبو الحَسَــن: عَليّ بْن مُحَمّدِ بنِ أَحْمدَ بنِ مُحمّدٍ بن أَحْمَد بن مَعَوّض البِبْلاوي المالِكِي الأَشْعَري الْإِدْريسِي الحَسَنِيّ، وُلِدَ في رَجب سَنة ١٢٥١ هـ = نُوفمْبر سنة ١٨٣٥م، في قَريَة بِبْلا مَرْكَز دَيْرُوط بِمُحافَظة أَسْيُوط.

نَشْأتُه وتَكْوينُه العِلْمِي:

نَشَأَ في بَيْتٍ كَرِيمِ الأَصْلِ، عَرِيقٍ في المَجْدِ، مِن سُلالَةِ سَيّدنا الحَسَنِ بْنِ عَليّ، أُمّهُ السّيّدةُ فاطِمَةُ الزّهْرَاء-رضي الله عنهم أَجْمعِينَ-، الْأَمْرُ الذي كان له أَطْيَبُ الأَثَرِ في تَكْوينِ شَخْصيّة الشّيخ البِبلاوِي: تَعلّم منْه الاعْتِزَازَ بِالْمَجْدِ والْأَصــالَة، فَبَعْدَ أَنْ ابْتدأ تَعلِيمَه في مَكْتَبِ القَرْيَةِ وحَفِظ فيهِ القُرآنَ الكَرِيمَ، ودَرَسَ مَبادِئ العُلوم، حَضَــرَ إلى القاهِرَةِ فالْتَحَقَ بالأَزْهِرِ الشّــريفِ سَــنة ١٢٦٩ هـ، فَتَلّقى العُلوم الدّينِيّةَ والعَرَبِيّةَ علَى كَوْكَبَةٍ من أَفاضِل العُلَماءِ الّذِينَ ذَخَرَ بِهِمُ الأَزْهرُ في ذلكَ الْوَقْت، منْهم: الشّيخ محمد الأَنْبابِي، والشّيْخ محمد عَليش، والشّيخ عَلي بن خَليل الأَسْيوطي واخْتُصّ بِه، وَجَدّ واجْتَهدَ

(١) - التاريخ الحسيني للأستاذ السيد/ محمود علي البيلاوي صـ ٥٧، ٧٨، ط: التقدّم العلمية- بمصر، (١) ١٣٢٤هـ، مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن تأليف/ علي عبد العظيم ١/ ٢٩٩، ط: الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية، عام ١٣٩٨ هـ =١٩٧٨م، الأزهر الشريف في ضوء سيرة أعلامه الأجلاء رؤية فنية تاريخية د/ عبد الله سلامة نصر، صـ ١٤٥، ط: مكتبة الإيمان، أعيان القرن الرابع عشــر للعلامة المغفور له أحمد تيمور باشــا مجلة الرســالة ٥٢/ ٣٤، ٤٠٦/ ٢٩، الأعلام الشــرقية في المائة الرابعة عشــرة الهجرية تأليف زكي محمد مجاهد ١/ ٣٥٠، ط: دار الغرب الإسلامي- بيروت، (٢) ١٩٩٤م، الأزهر في ألف عام د/ محمد عبد المنعم خفاجي ٢/ ٣٧٠،

فَحَازَ قَصَبَ السّبْقِ في سَائِرِ العُلومِ واشْتُهِرَ بِما هو غَرِيزةٌ وسَجِيّةٌ فيه من التّقْوى والصّلاحِ ومَكارِمِ الأخْلاقِ، وكَما اسْتَفادَ من أَساتِذَتِهِ النّابِهِينَ انْتَفَعَ أَيْضًا بِصَداقَةِ أَصْحابِه الأَوْفِياء، منْهمُ الشّيخ حَسّونَة النّواوِي، وسَكَنَ معه مُدّةَ التّلْمذةِ فكانا يُقِيمانِ مَعًا، ويَحْضُرانِ الدّروسَ مَعًا، ولا يَفْتَرِقانِ إلّا في دَرْسِ الْفِقْهِ حيْث يَحْضُر الشّيخ النّواوي حَلقةَ الفِقهِ الحَنْبَلي، ويَحْضُرُ الشّيخ البِلاوي حَلقة الفقْه المَالِكي، ولمّا بَلَغَ أَشُدّه وآنَسَ من نَفْسِه القُدْرَةَ العِلْمِيّة بَاشَرَ التّدْريسَ بِالأَزْهَر وبالمَسجِدِ الحُسَيْنِي: أَلْقى دُروسًا في شَرْحِ الكُتُبِ المُقَرّرة في مَناهِجِ العُلومِ، وتَلَقّى عليه الكَثِيرُ من أَكابِرِ عُلَماءِ العَصْرِ، وفي سنة ١٢٨٠ ﻫ أَدَّى فَرِيضَةَ الحَجّ، فالْتَقَى بِكَثِيرٍ من عُلماءِ المُسلِمينَ حَاوَرهُم وناقَشَهمْ.

الوظائف التي تولاها:

١-بعد عودته من أداء فريضة الحج سنة ١٢٨٠ ﻫ صدر قرار بتعيينه ناظرًا في دار الكتب المصرية، وكان اسمها " الكتبخانة "؛ لإعارة الكتب داخليًّا وخارجيًّا. (١)

٢- تعيينه إمامًا وخطيبًا بمسجد سيدنا الحسين، في ثاني صفر سنة ١٣١١ ﻫ، الموافق ١٤ أغسطس سنة ١٨٩٣م صدر الأمر بتعيينه بوظيفة مشيخة خدمة مسجد سيدنا الإمام الحسين ــ رضي الله عنه ــ فقام بها خير قيام.

٣- تعيينه نقيبًا للأشراف، في السادس من شوال سنة ١٣١٢ ﻫ الموافق ١ من إبريل سنة ١٨٩٥م صدر الأمر العالي الخديوي بتعيينه نقيبًا لعموم السادة الأشراف بالديار المصرية.

٤- توليه مشيخة الأزهر الشريف، قد تمّ تعيين الشيخ الإمام علي بن محمد الببلاوي شيخًا للأزهر في الثاني من ذي الحجة سنة ١٣٢٠ ﻫ، الموافق ١ من مارس سنة ١٩٠٣م.

(١)- التاريخ الحسيني صـ٥٨، ينظر: مشيخة الأزهر صـ ٣٠٠، وأعيان القرن الرابع عشر ٣٦/ ٥٢، الأزهر الشريف في ضوء سيرة علمائه الأجلاء ١٤٨.

تقديم استقالته من مشيخة الأزهر:

استمر الشيخ - عليه رحمة الله- في هذا المنصب الجليل قائمًا بأعبائه خير قيام، وعلى أتمّ وجه، مع الجدّ والنشاط والإخلاص، حتى أحسّ بضعفٍ في قواه، وتأخرٍ في صحته، وازدياد في مرضه، بالإضافة إلى العقبات التي توضع في طريق مناهجه الإصلاحية في الأزهر، فقدَّم استقالته من المشيخة في التاسع من المحرم سنة ١٣٢٣ هـ، الموافق ١٥ مارس سنة ١٩٠٥م.

مؤلفاته:

١-رسالة في فضائل ليلة النصف من شعبان.

٢-إعجاز القرآن - وهو محل البحث -، وهو مجموعة مقالات نشرها الشيخ الإمام في روضة المدارس المصرية، جمعها ابنه السيد محمود[١]، وتوجد منها نسخة خطية بدار الكتب برقم ٥٦٠٦ هـ عربي.[٢]

وفاته:

ظلّ الشيخ البيلاوي ملازمًا بيته بعد استقالته، عاكفًا على تلاوة القرآن الكريم، وعبادة الكريم المنان، حتى وافاه الأجل المحتوم، عن عمر يناهز ٦٩عامًا، فقد توفي الشيخ -رحمه الله- في يوم الجمعة الثالث من ذي القعدة سنة ١٣٢٣ هـ، الموافق ٢٩ من ديسمبر سنة ١٩٠٥م، وشيعت جنازته بعد الصلاة عليه بالمسجد الحسيني، ودُفِنَ في بستان العلماء بقرافة المجاورين.

---

(١) - محمود بن علي بن محمد البيلاوي: فقيه حنفي مصري أزهري، ولد في ١٨ رمضان ١٢٩٧ هـ = ١٨٨٠م، وقد نال الشهادة العالمية من الدرجة الأولى، وتولى مشيخة مسجد الحسين، وتوفي بالقاهرة سنة (١٣٥٠ هـ = ١٩٣١م)، وله كتب منها: تاريخ الهجرة النبويّة وبدء الإسلام، و الرحلة البيلاوية إلى المدينة المنورة ، والتاريخ الحسيني، وتاريخ السيدة زينب. الأعلام للزركلي٧/ ١٧٨، والتاريخ الحسيني صـ ٧٥.

(٢) - تعتبر هذه النسخة أصليّة، وهي بخطّ ابنه الشيخ/ محمود علي البيلاوي، وتقع في عشرين (٢٠) ورقة، وفي كلّ ورقة وجهان- أي: بما يعادل أربعون صفحة-، وفي كلّ وجهٍ خمسة عشر (١٥) سطرًا، المقاس ٢١×١٧,٢ سم، وهي: ناقصة غير تامّة.

المطلب الثاني: مَنْهَجُ الشّيْخِ الببلاوي في (إعْجازِ القُرآن):

وشيخنا الببلاوي حين عَمِدَ إلى قَضيةِ الإعجاز تَناولَ عدة مناهج حيث المنهج الوصفي التحليلي الاستنباطي، فقد جمع أكبر قدر ممكن عن وجوه إعجاز القرآن، وتعمق في دراسة هذا الموضوع؛ للحصول على خلاصة دقيقة تفيد القارئ وتسهم في معالجة إشكالية هذا الموضوع، ثم انتقل إلى التطبيق على بعض الجزئيات، وقد أشار من خلال ذلك إلى عدة نقاط تتعلق بالإعجاز، وهي:

الأولى: الْعَرَبُ والْإِعْجَازُ:

فَالعَربُ أَوْدعَ اللهُ – تعالى – فِيهِمْ من خِصالِ الشّرفِ ما يَكُونُ مُناسِبًا لِتَأْسيسِ دَعْوةٍ، وتَكْوِينِ أُمّةٍ، فَقَدْ كانوا أَفْصحَ الفُصحاءِ، وأَبْلغَ البُلغاءِ، وأُولِي الرّأْي والعَقْلِ، فَاللّغَةُ لِيْستْ أَلْفاظًا فَقَط، بَل هي لَفْظٌ ومَعْنًى وإِيحاءٌ[1]، وفي ذلك يَقُولُ شيخنا: (٠٠ وهُم فُرْسانُ الكَلامِ، وأَرْبابُ هَذا الشّأْنِ التّامّ، فَإنّ اللهَ قدْ خَصّهُمْ مِن البَلاغَةِ والْحِكَمِ، بما لَمْ يُوجَدْ في غَيْرِهِمْ مِن الأُمِمِ، جَعَلَ اللهُ لهم ذلك جِبلّةً وطَبِيعَةً، وسَجِيّةً غَرِيزِيّة، وقُوّةً مَنِيعَةً، فَلَهُم في البَلاغَةِ الحُجّة البالِغة، فَحَازُوا منْها جَميع الأَنْواعِ والفُنُونِ، واسْتخْرَجُوا مَحاسِنَها اسْتِخْرَاجَ الماءِ مِن الآبَارِ والعُيُونِ، وسَهُلَ عليهم الوُصُولُ إلى مَقاصِدهِم بما أَرادُوا من بَسْطِ الكلامِ والْإِيجَازِ، والْإِتْيانِ بالحَقيقَةِ أَوْ الكِنايَةِ والمَجازِ، فَتَكَلّمُوا بِكَلامِهِمُ الْبَليغ في الْخَطِيرِ والمُهينِ، وأَتَوْا بكُلّ فَنٍ في الْغَثّ والسّمِينِ)[2].

الثانية: القرآن والإعجاز:

أنّ القُرآنَ الكَريمَ إنما كان مُعْجِزًا؛ (لِأَنّهُ جاءَ بِأَحْسَنِ الْألْفَاظِ، وأَبْدَعِ النّظْمِ والتّأْلِيفِ، وأَحْسَنِ المَعانِي، وأن مِنْ عِظَمِ قَدْرِ القُرآنِ: أَنّهُ تَعالَى خَصّهُ بِأَنّهُ دَعْوَةٌ وحُجّةٌ، ولمْ يَكُنْ مِثْلُ ذَلكَ لِنَبِيّ قَطّ،

---

(١) – ينظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، لمحمود شكري الآلوسي ١/ ٨ وما بعدها بتصرف، ط: دار الكتب العلمية– بيروت،

(٢) – المخطوط، صـ ١١، روضة المدارس المصرية المقالة الثالثة: في العدد السابع عشر (١٧) من السنة (٢) الصادر في يوم الاثنين ١٥ رمضان سنة ١٢٨٨ هـ. صـ ١٥، ١٦، ١٧، ١٨.

إنّما كانَ لِكُلٍّ مِنْهم دَعْوَةٌ، ثُمّ تَكُونُ لَه حُجّةٌ غَيْرُها، وقدْ جَمَعَها اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ في القُرآنِ، فَهُو دَعْوَةٌ بِمَعانِيهِ، حُجّةٌ بِأَلْفاظِهِ، وكَفَى الدّعْوَةُ شَرَفًا أنْ تَكُونَ حُجّتُها مَعَهَا، وكَفَى الْحُجّةُ شَرَفًا أَن لَا تَنفَصِلَ الدّعْوَةُ عَنْهَا).(١)

الثالثة : الْبَلَاغَةُ والْإِعْجَازُ:

إنّ صِلَةَ الرّحِمِ والتّرابُطِ الّتي بَيْنَ البَلاغَةِ والإعْجازِ شَديدَةٌ وقَرِيبَةٌ إلى أَبْعَدِ حَدّ، وأنّ فَكْرَةَ إعْجازِ القُرآنِ كانتْ من أَقْوَى البَواعِثِ وأَشَدّها على نَشْأةِ عِلْمِ البَلاغَةِ، فَقدِ اقْتَرَنَتْ إحْداهُما بِالأُخْرَى؛ اقْتِرانًا يُوقِفُكَ على الغَايَةِ منْهما، وهي: أنّ الغَايةَ من عِلْمِ البَلاغَةِ فَهْمُ وإدْرَاكُ إعْجازِ القُرآنِ ، وأنّ الغَايةَ من تَحْديدِ إعْجازِ القُرآنِ تَسْطِيرُ مَباحِثِ ومَضامِينِ عِلْمِ البَلاغَةِ، فَنَجِدُ عُلماءَ يُسَمّونَ كُتُبَهمْ بِإعْجازِ القُرآنِ ويَتكلّمونَ عن أُمورٍ في البَلاغَةِ كَعَبدِ القاهِرِ الجُرجانِي في دَلائِلِ الإعْجازِ، والْعَكْسُ صَحيحٌ، ومنْهمْ من فَصَلَ بَيْنَ البَلاغَةِ والإعْجازِ كَما صَنَعَ يَحْيى العَلَويّ في كِتابِه: (الطّرَازُ لِأَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ وَحَقَائِقِ الْإِعْجَازِ).

والمتأمل فيما كتبه الشيخ البِلاوِي يجِدُ أنّه لم يَغْفلْ ذِكْرَ مسائل البَلاغةِ في مَعْرض حَديثِه عنِ الإعْجازِ، وهو بذلك يلْفِتُ أَنْظَارَنا إلى صِلَة القَرابَةِ والالْتِحامِ بَيْنَهُما.

الرابعة : خَصائِصِ الْأُسْلُوبِ القُرآنِي :

إنّ لِلقُرآنِ الكَرِيمِ طَرِيقَتَه الّتي سَلَكَهَا، وانْفَرَدَ بها في تَأْليفِ كَلامِه واخْتِيارِ أَلْفاظِهِ، وأُسْلُوبِه الرّائِعِ، والأُسْلوبُ وإنْ كان أَحَدَ أَوْجُهِ الإعجازِ، إلّا أنّه يُمْكِنُ عَدّه خُطْوَةً سابِقةً لِلإعْجازِ؛ لِتَناوُلِهِ لِلنّهْجِ الّذي انْتَهَجَهُ القُرآنُ الكَرِيمُ في عَرْضِ قَضايَاهُ، وهو مُغايرٌ لِلمُفْرداتِ والتّراكِيبِ الّتي يَتَأَلّفُ منْها الكَلامُ.

---

(١) – المقالة العاشرة: في العدد التاسع عشر (١٩) من السنة الرابعة (٤) الصادر في يوم الخميس ١٥ شوال سنة ١٢٩٠ هـ. صـ ٧، ٨.

ويَذَكْرُ الشّيخُ أنّ النّاظِرَ في أُسْلُوبِ القُرآنِ الكَريمِ يَجِدُ أَنّ (اللهَ -ﷻ- في القُرآنِ يُثْنِي على نَفْسِهِ ويُمَجّدُها، ويَحُضّ المَخْلوقاتِ على فَضْلِ الطّاعَةِ ويُرَغِّبُها، ويَنْصَحُ عِبَادَهُ، ويَدُلّهُم على مَا لَهُم فيه السّعادَةُ، ويَتَعَرّفُ إليهم بِصِفاتِهِ وأَسْمائِهِ، وَيَتَحَبّبُ إليهم بِنِعَمِهِ وآلائِهِ، ويُذكّرُهمْ ما وَعَدَهُمْ به مِن الكَرَامَةِ إِذَا أَطَاعُوُه، وما أَوْعَدَهمْ به مِن الْعُقُوبةِ إِنْ هُم عَصَوْهُ وَخَالَفُوهُ، وأنّهُ لَا يَنالُ أحدٌ ذرةً مِن الْخَيْرِ إلّا بفضْلِه ورحْمَتِهِ، ولا يُصِيبُهُ ذَرّةٌ مِن الشّرّ إلّا بِعَدْلِهِ وحِكْمَتِهِ، وتَشْهَدُ مِن خِطَابِهِ تعالى عِتَابَهُ لِأَحْبَابِه بأَلْطَفِ عِتابٍ، وتَرَى فيه مِن أَخْبارِ القُرُون المَاضِية، والأُمِمِ السّالِفَة الْفَانِية، ما يَعْجَزُ مَن تَفَرّغَ لِعِلْمِ التّارِيخ والأَخْبار عن مَعْرفة قَطْرَةٍ مِن بَحْرِ ما اشْتَمَل عليهِ من القَصَصِ والآثارِ، فكُلّ مَن تَأمّلَ في هَذا النّظْمِ البَدِيع، المُخالِف لكُلّ نَظْمٍ في لِسَان العَرَبِ رَفِيعٌ، عَلِمَ أنّ هذهِ الْجَزَالَةَ لا يَصِحّ أنْ تُسْنَدَ لِغَيْرِهِ – تعالى- في خِطَابٍ؛ إذْ لَا يُمْكِنُ مَلِكًا من مُلُوكِ الدّنْيا أَنْ يَقُولَ: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ﴾[1] بلا ارتياب، ولا أن يقول: ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ ﴾ [2]، فما هذا إلا كلام ملك عامّ القدرة ﷻ).[3]

وعَلَيْهِ فإنّ الشّيخ البِلاوِي في تَناوُلِه لِقَضيّة إعْجازِ القُرآنِ أَقْربُ ما يَكُونُ إلى المَنْهجِ الوَصْفِي التأصيلي، القَائِمِ على وَصْفِ خَصائِصِ الإعْجازِ، والعَوامِلِ المُؤثِرَةِ فيهِ، والظّرُوفِ المُتَعلّقةِ بِه، من خِلالِ التّفْسيرِ والتّحْليلِ المُتَعَمّق.

(١) – سورة غافر من الآية (١٦).

(٢) – سورة الرعد من الآية (١٣).

(٣) – المخطوط، صـ ١٠، وينظر: المقالة الثالثة: في العدد السابع عشر (١٧) من السنة (٢) الصادر في يوم الاثنين ١٥ رمضان سنة ١٢٨٨ هـ. صـ ١٧، ١٨.

المبحث الثاني

الإعْجاز القرآني وصِلَتُه بالتّفْسير المَوضُوعِي

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

التمهيد: القُرآنُ الكَريمُ كِتابُ هِدايَةٍ، ومَنْهَجُ حَياةٍ، أَنزَلَهُ مُبدِعُ هذا الكَوْنِ ومُصرّفُ شُؤونِه، ومُقدّرُ أَوْضاعِه وحاجَاتِه، وقَدْ أَبَانَ اللهُ – تَعالَى – في آيَاتِه المُحْكَمات منَ الفَوائِد الجَليلَةِ المَنِيفَةِ، كَالعَقائِدِ الحَقّةِ، والمَواعِظِ، والأَحْكامِ الشّريفَةِ، ما بَهَرتْ بَلاغتُه العُقولَ، وظَهَرتْ فَصاحَتُه على كُلّ مَعْقولٍ، وتَظافَرَ إيجازُه وإعْجازُه، وتَظاهَرَتْ حَقيقَتُه ومَجازُه، وتَشابَهتْ في الحُسْنِ مَطالِعُه ومَقاطِعهُ، وحَوَتْ كُلّ البَيانِ جَوامِعُه وبَدائِعهُ، واعْتَدلَ معَ إيجَازِه حُسْنُ نَظْمِهِ، وانْطَبَقَ علَى كَثْرةِ فَوائِدِه مُخْتارُ لَفْظِهِ.

وهذا ما يَعْنِيهِ التّفسيرُ المَوضوعِي؛ إذْ هو (عِلْمٌ يَبْحثُ في قَضايا القُرآنِ الكَريمِ، المُتّحدَةُ مَعْنًى أَوْ غَايَةً، عن طَريقِ جَمْعِ آياتِها المُتَفرّقةِ، والنّظرِ فِيها، علَى هَيْئةٍ مَخْصوصَةٍ، بِشُروطٍ مَخصُوصةٍ؛ لِبيانِ مَعناها، واسْتِخْراجِ عَناصِرِها، ورَبْطِها بِرِباطٍ جَامِعٍ.

ومن فَوائِدِهِ: إِبْرازُ إعْجازِ القُرآنِ: على وَجْهٍ يُلائِمُ العَصْرَ؛ لِمَا احْتَواهُ من مَوضُوعاتٍ مُتكاثِرَةٍ معَ قِلّةِ حَجْمِه، ووَجَازَةِ لَفْظِه، وهذا يُخالِفُ مَعْهودَ الكُتبِ، وقُدُراتِ البَشَرِ، وحِينَ تُجْمَع " نُجُومُ المَوضوعِ" مَعًا نَجِدها على غَايةِ التَوافُق والتَناسُقِ، وكأنّ أَقْساطَهُ جَمِيعًا قدْ نَزلَتْ في وَقْتٍ وَاحِدٍ، تُعالِجُ قَضيّةً ما في مَوْعِدها وظُرُوفِهَا، ونَجِدُ قَانُونًا وَاحدًا يَنتَظِمُ النّجومَ جَميعًا، وهذا ضَرْبٌ بَالِغُ الإعْجاز، لا يَسْتطِيعُه بَشَرٌ مَهْمَا أُوتِيَ من إِحْكامِ العَقْل، وجَوْدَةِ الفِكْرِ) . (١)

وإِمَامُنا البِلاوي – عليه رحمة الله تعالى – يَضَعُ أَيْدِيَنَا على مَعالِمِ هذا النّوعِ منَ التّفسِيرِ مَنْهَجًا

(١) – المدخل إلى التفسير الموضوعي: مناهج ونماذج، أ.د/ عبد الستار فتح الله سعيد صـ٢٠، ٤٣، ط: مكتبة الإيمان، (٥) ١٤٣٢ هـ= ٢٠١١م.

وتَطْبِيقًا، فَيَقولُ: (فصَارَ القُرآنُ مُعْجِزًا؛ لِأَنَّهُ جاءَ بِأَحْسَنِ الْأَلْفَاظِ، وأَبْدَعِ النّظْمِ والتّأْلِيفِ، وأَحْسَنِ المَعانِي مِن الدّعَاءِ لِلتّوْحِيدِ، وطَاعَةِ الرَبّ الْمَجِيدِ، وَالتّحْلِيلِ والتّحْرِيمِ، والْعِظَةِ والتّقْوِيمِ، والْإِرْشَادِ إِلَى مَحاسِنِ الْأَخْلَاقِ، والزّجْرِ عَن مَسَاوِيهَا، وَاضِعًا كُلّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ؛ بِحَيْثُ لا تَرَى مَحَلًّا أَوْلَى مِن مَحَلّ، مُودِعًا فِيهِ أَخْبارَ الْقُرُونِ المَاضِيةِ، مُنْبِئًا عَن الْحَوادِثِ الْمُسْتَقْبَلَةِ، ولا شَكَّ أنّ اسْتِيفاءَ هَذهِ الْأُمُورِ علَى أَحْسَنِ نَسَقٍ لا يُمْكِنُ لِغَيْرِهِ ﷻ).[1]

هَذهِ المَعانِي وتِلكَ النّجومُ – أيْ: التّوحيدُ فِي القُرآنِ، والأَخْلاقُ فِي القُرآنِ- إذا جَمّعْتَها، تَجِدُ بِأَنَ عَناصِرَ البَلاغةِ مُتَحَقّقٌ لَدَيْكَ؛ حَيْثُ اللّفْظِ والمَعْنَى، وتَأْليف لِلألْفاظِ تَأْليفًا يَمْنَحُها قُوّةً وتَأْثِيرًا؛ لِمَا لَها من سِحْرِ البَيانِ وسِرّ البّلاغةِ؛ لِمُلائَمَةِ كُلّ كَلامٍ لِلمَوْطِنِ الّذي قِيلَ فِيه، ومُرَاعاةِ حَالِ السّامِعِينَ، والنّزْعَةِ النّفْسيّة الّتي تّمْتَلِكُهمْ، وتُسَيْطِر على نُفوسِهمْ.

المطلب الأول: حَديثُ القُرآنِ عن القُرآنِ:

القرآن الكريم كلام الله العظيم به من الكمال والجمال والجلال ما لله – تعالى- من الكمالات والعظمة والإجلال، ولولا أن الله – تعالى- يسّر ذكره لنا، وخفف أمره علينا، فقال: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[2] لثقل علينا شأنه، وصعُب علينا الوصول إليه، ولكن الله – تعالى- حثنا على تدبّره، وأمرنا بتفهّمه، وكلفنا بتنفيذ ما فيه، فقد " أودعه الله – تعالى- من العقائد والعبادات والأحكام والحِكَم، وفنون العلوم، وأصول الفضائل؛ ما به قوام الملة الكاملة، والأمة الفاضلة، والدولة الراشدة، وما به سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، فكان أفضل الكتب السماوية وأجمعها للخير، وأوفاها بحاجة البشر، وأبقاها على الدهر: مصدقًا لها ومهيمنًا عليها، وكان دعوة

(١) – المخطوط، صـ ٢٠، روضة المدارس المصرية المقالة الرابعة: في العدد الثاني (٢) من السنة الثالثة (٣) الصادر في يوم الاثنين ٣٠ محرم سنة ١٢٨٩ هـ . صـ ٧.

(٢) – سورة القمر الآية (١٧).

الحق لسائر الخلق إلى يوم الدين لا قبول للإيمان إلا به، ولا نجاة في الآخرة إلا باتباعه٠٠٠، وقد أيقظ القرآن الفكر الإنساني من رقاده، وحرّكه من جموده، وأزاح عنه رين الجهالة، ووجهه إلى العلم، وعلّمه سلوك مناهج الحياة، وفتح للعقول أبوابًا من العلوم، وسلك بها سُبلًا من المعارف لم يكن لها عهد بها من قبل، فكانت نورًا وهدىً للناس في سائر العصور، وكان القرآن مأدبة الله لخلقه، يطعم منها من يشاء بما يشاء، ويفيد منها كل إنسان بقدر استعداده، وتهيؤ فطرته لقبول فيْضه"[(١)].

وقد صور هذه المعاني وأوضحها الشيخ البيلاوي من خلال ثلاث نقاط، وهي: تعريف القرآن، وما ورد في القرآن الكريم من الحديث عن القرآن بذكر أسمائه الشريفة وأوصافه الشهيرة، ثم ذكر ما ورد من فضائل القرآن والترغيب فيه مما جاء في القرآن الكريم والسنّة النبوية المشرفة.

وإنما ذكر تعريف القرآن للوقوف على مقاصد القرآن، وأن الغرض من إنزال القرآن الكريم أنه هداية للثقلين الإنس والجن، وأنه معجزة النبي ﷺ، وأن يتعبد بتلاوته[(٢)]، فقال: " القرآن هو: اللفظ المنزّل على سيدنا محمد ﷺ للإعجاز بأقصر سورة منه المتعبّد بتلاوته،٠٠٠ وأن من معانيه اللغوية: القراء بمعنى: الجمع؛ لأنّ حروفه جُمعتْ فصارتْ كلمات، وكلماته جمعتْ فصارتْ آيات، والآيات جمعتْ فصارتْ سورًا، والسور جمعتْ فصارتْ قرآنًا، وهو جامعٌ لعلوم الأولين والآخرين، وثمرات الكتب المنزّلة من ربّ العالمين، وكلّ هذا بحسب الأصل، وإلا فهو الآن اسمُ

(١) صفوة البيان لمعاني القرآن للشيخ/ حسنين محمد مخلوف ١/ ٢٩، ط: مجلة الأزهر، شهر المحرم ١٤٤٤هـ، وينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ٢/ ٢٩٤.

(٢) – مناهل العرفان ٢/ ١٠٤ وما بعدها.

عَلمٍ لكلام الله المنزّل على نبينا ﷺ"[١]، وإنما اكتفى في التعريف بمقصدين دون ذكر الثالث إشارة إلى أن الهداية متضمن في إعجازه، فمن إعجازه هدايته.

والنقطة الثانية: ما ورد في القرآن من الحديث عن القرآن بذكر أسمائه الشريفة وأوصافه الشهيرة؛ لأن " حديث القُرآنِ عن القُرآنِ جَاء لِيُعبّرَ عن أُمورٍ مُعَيّنةٍ يَمْتازُ بِها القُرآنُ عن غَيرِه من صُورِ الكَلامِ، فَهُناكَ صِفاتٌ تَكْشفُ عن حَقِيقةِ القُرآنِ، وأُخْرَى تُحَدّدُ تَراكِيبَهُ، وثَالِثةٌ تُبيّنُ مَدى صِدْقِه، ورَابِعةٌ تَصِفُ سُمُوّ بَيانِه، وخامِسةٌ تَصِفُ إِرْشَادَه لِلعِبادِ، وسَادِسَةٌ تُعَبّرُ عن بَرَكَتِه"[٢]، فَمِنْ جُمْلَةِ ما ذكره من أَسْماءِ القُرآنِ الكَريمِ (الشّريفَةِ الكَثِيرةِ، وأَلْقابِه، وأَوْصافِه الشّهِيرَةِ: النّورُ، والهُدَى، والكَريمُ، والشّفَاءُ، والمَوْعِظَةُ، والرّحْمَةُ، والذّكْرُ، والعَزِيزُ، والعَلِيُّ، والقَصَصُ، والمُبِينُ، والفُرْقَانُ، وأَحْسَنُ الحَديثِ، والْوَحْيُ).[٣]

والشيخ في تناوله لهذه الأسماء وتلك الأوصاف اتبع منهجًا جديدًا وسلك طريقة فريدةً، حيث لم يكتف بذكر الوصف ومحل شاهده في النص القرآني، بل إنه يورده ويأخذ من خلاله من معاني القرآن الكريم ما يؤصل بها قاعدة تربوية، تنطلق بها الأمة نحو الإصلاح والترقي، وتبني تجديد دنياها بتجديد دينها، هذا التجديد الذي تقوم دعائمه على تأصيل الثوابت، القائم على نشر روح العزة والكرامة في الأمة الذي نالته من شرف الانتساب لخالق الكون، فهم مؤمنون بالله ربّ العالمين، ومن عزة الاستمساك بكتاب العزة الحقيقية الدائمة، فيحدثون في العالم تقدمًا ورقيًّا، ويبنون حضارةً،

---

(١) – المخطوط، صـ ١، روضة المدارس المصرية المقالة الأولى: في العدد الثالث (٣) من السنة الثانية (٢) الصادر في يوم الجمعة ١٥ صفر سنة ١٢٨٨ هـ. صـ ٧، ٨، ٩.

(٢) – البيان في روائع القرآن د/ تمام حسان ١/ ٤٦٩، ط: مكتبة الأسرة، (٢) عام ٢٠٠٣م.

(٣) - المخطوط، صـ ٢ وما بعدها بتصرف، روضة المدارس المصرية المقالة الأولى: في العدد الثالث (٣) من السنة الثانية (٢) الصادر في يوم الجمعة ١٥ صفر سنة ١٢٨٨ هـ. صـ ٧، ٨، ٩.

ويصنعون تاريخًا، وينشرون سلامًا في ربوع العالم، فيقول – مثلًا-: " ... **ومنها: كريمٌ**، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾[1]؛ لأنّه يفيد الدلائل التي تؤدي إلى الحقّ في الدين والعلم والحكم واليقين، فالفقيه يستدل به ويأخذ منه، والحكيم يستمد منه ويحتج به، والأديب يستفيد منه ويتقوى، فكلّ عالمٍ يطلب أصل علمه من منطوقه والفحوى، وقد وصف تعالى نفسه بالكريم، فقال عزّ من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾[2] أي: الذي يعطيك الجزيل، ولا يخيب من دعاه، ويُسدي الجميل ولا يُعاجل من عصاه، ووصف ثواب الأعمال – أيضًا- بكونه كريمًا، قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾[3]، ولقّب جبريل –أيضًا- كريمًا، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[4] أي: عزيزٌ على الله -ﷻ- منزّل بما فيه خير الدنيا والآخرة، **فالقرآنُ كريمٌ، من ربٍّ كريمٍ، نَزَل به كريمٌ على رسولٍ كريمٍ؛ إذ نبينا أكرم الخلق على ربّه، لأمةٍ كريمةٍ عدولٍ خيريةٍ**، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[5] أي: عدولًا[6]، وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[7]، فإذا تمسكوا به نالوا ثوابًا كريمًا....، **ومنها: عزيزٌ**، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾[8]، ... وقد وصف تعالى نفسه بالعزيز، فقال عزّ من قائل: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[9]، ووصف نبيه والمؤمنين بالعزة أيضًا، فقال: ﴿وَلِلَّهِ

---

(١) –سورة الواقعة الآية (٧٧).

(٢) – سورة الانفطار الآية (٦).

(٣) – سورة يس من الآية (١١).

(٤) – سورة الحاقة الآية (٤٠)، وسورة التكوير الآية (١٩).

(٥) – سورة البقرة من الآية (١٤٣).

(٦)– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ١/ ٢١٩.

(٧) – سورة آل عمران من الآية (١١٠).

(٨) – سورة فصلت من الآية (٤١).

(٩) – سورة الشعراء في أكثر من آية (٩، ٦٨، ١٠٤، ١٢٢، ١٤٠، ١٥٩، ١٧٥، ١٩١).

ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [١]، عزة الله: قهره وغلبته لأعدائه، وعزة رسوله: إظهار دينه على الأديان كلّها، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [٢]، وعزة المؤمنين: نصر الله إياهم على أعدائهم، فربٌّ عزيزٌ، أنزل كتابًا عزيزًا، على نبيّ عزيزٍ، لأمةٍ عزيزةٍ..."[٣].

والنقطة الثالثة: هي ما ورد من فضائل القرآن الكريم والترغيب فيه مما يدفع إلى تلاوته حق التلاوة، وتدبر آياته، و" أن يستشعر المؤمن من فضل القرآن أنّه كلام رب العالمين غير مخلوق، كلامُ من ليس كمثله شيء، وصفة من ليس له شبيه ولا ندّ، فهو من نور ذاته - جلّ وعزّ-، وأنّ القراءة أصوات القرّاء ونغماتهم، وهي اكتسابهم التي يؤمرون بها إيجابًا في بعض العبادات، وندبًا في كثير من الأوقات، فيثابون على فعلها، ويعاقبون على تركها، وهذا ما أجمع عليه المسلمون أهل الحقّ، ونطقت به الآثار، ودلّ عليه المستفيض من الأخبار، ولا يتعلق الثواب والعقاب إلا بما هو من اكتساب العباد، ولولا أنّه سبحانه جعل في قلوب عباده من القوة على حمله ما جعله ليدّبروا ما فيه من طاعته وعبادته وأداء حقوقه؛ لضعُفتْ عن حمله، وأنّى تطيقه لولا ذلك، وقد قال تعالى وقوله الحقّ: ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ ﴾[٤]، فأين قوّة القلوب من قوّة الجبال، ولكنّ الله – تعالى- رزق عباده من القوّة على حمله ما شاء أن يرزقهم فضلًا منه ورحمة..."[٥].

---

(١) – سورة المنافقون من الآية (٨).

(٢) – سورة التوبة من (٣٣)، وسورة الفتح من الآية (٢٨)، وسورة الصف من الآية (٩).

(٣) - المخطوط، صـ ٢ وما بعدها، روضة المدارس المصرية المقالة الأولى: في العدد الثالث (٣) من السنة الثانية (٢) الصادر في يوم الجمعة ١٥ صفر سنة ١٢٨٨ هـ. صـ ٧، ٨، ٩.

(٤) – سورة الحشر من الآية (٢١).

(٥) – روضة المدارس المصرية المقالة العاشرة: في العدد التاسع عشر (١٩) من السنة الرابعة (٤) الصادر في يوم الخميس ١٥ شوال سنة ١٢٩٠ هـ. صـ ٥، ٦، ٧، ٨.

المطلب الثاني: حَدِيثُ القُرآنِ عنِ الوَحْيِ:

ذكر الشيخ البلاوي أن الوَحْي يُسْتَعْمَلُ في القرآن الكريم بِمَعانٍ منْها: (القُرآنُ، والإِشَارَةُ، والإِلْهَامُ، والإِرْشَادُ والْهِدَايَةُ، والْأَمْرُ، والْكِتَابُ) وأنّه وَارِدٌ في حَقّ الأَنْبِياءِ، وفي حَقّ الْأَوْلِياءِ، وفي حَقّ الحَيَوانَاتِ، وفي حَقّ الجَمَادَاتِ، ولِكُلّ وَاحِدٍ من هَذه الأَقْسامِ مَعْنَى خَاصّ، فَهُو منَ الوُجُوهِ والنّظائِرِ في القُرآنِ الكَرِيمِ، ومعنى الوجوه والنظائر: (أَن تكون الْكَلِمَة وَاحِدَة، ذكرت فِي مَوَاضِع من الْقُرْآن على لفظ وَاحِد، وحركة وَاحِدَة، وَأُرِيد بِكُل مَكَان معنى غير الآخر، فَلفظ كل كلمة ذكرت فِي مَوضِع نَظِير للفظ الْكَلِمَة الْمَذْكُورَة فِي الْموضع الآخر، وَتَفْسِير كل كلمة بِمَعْنى غير معنى الأخرى هُوَ الْوُجُوه، فَإِذن النَّظَائِر: اسْم للألفاظ، وَالْوُجُوه: اسْم للمعاني).[1]

وإنما تناول الشيخ البلاوي هذا النوع من العلوم؛ لأنه يعتبر من أهم العلوم التصاقًا بالإعجاز واتصالًا به؛ إذ هو بمثابة النماذج التطبيقية له، والدراسة الميدانية لكثير من العلوم، فهو خير معين على فهم معاني القرآن الكريم وإدراك مقاصده، (فهو علم يكشف عن مراد الله- تعالى- من كلامه العزيز في مواضعه المختلفة بحسب ما يؤدى إليه سوابق الكلام ولواحقه؛ إذ كل لفظ في موضع قد يختلف عن مثله في موضع آخر أو في عدة مواضع، فلو حمل اللفظ على معنى واحد في كل المواضع لأدى ذلك إلى التعارض والتناقض والجهل بما وراء المعاني من المقاصد، وكلما ازداد المفسر لكتاب الله- تعالى- علما في الوجوه والنظائر- نبغ في تأصيل الأصول، ورد الفروع إليها، ومحاكمة المخالفين فيها إلى الحق المجرد عن الهوى).[2]

---

(١) - نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي، صـ ٨٣، ت/ محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ط: مؤسسة الرسالة- بيروت (١) ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.

(٢) - الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية، صـ ٦٠٣ وما بعدها بتصرف، وينظر: التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، أ.د/ عبد الغفور محمود مصطفى جعفر، صـ ٥٩، ط: دار السلام (٢) ١٤٣٣ هـ =٢٠١٢م.

المطلب الثالث: حَديثُ القُرآنِ عنَ العَقيدَةِ:

فَالقُرآنُ الكَريمُ تَضَـمّنَ جَميعَ أُصـولِ العَقيدَةِ، وأَحاطَ بِمَبادِئِهَا، وتَناوَلَ جَوانِبَها: الإلَهِيّاتِ، والنّبُوّاتِ، والسّمْعِيّاتِ، وكُلّ ما لا بُدّ لِلمُعْتَقِدِ أنْ يَعْتَقِدَهُ، وأنّهُ (إذَا كان الْإِنْسَانُ مُؤمِنًا بِالقُرآنِ، وأنّهُ كَلامُ اللهِ، وشِـفاءٌ لِمَا في الصّـدُورِ منَ الْأَدْوَاءِ، فَلْيَأْخُذْ عَقِيدَتَهُ مِنْهُ، فَإنّهُ قدْ تَضَـمّنَ جَمِيعَ الْأُصُـولِ، فَيَتْرُكَ الْعُلُومَ الّتِي تَتَوَارَدُ عَلَيْهَا الشّـكُوكُ وَالْأَوْهَامُ، فَيَضِـيعَ الْوَقْتُ، وَيَخَافَ الْمَقْتُ، فَمَنْ تَمَسّـكَ بِالْقُرْآنِ نَجَا).[1]

وقد ذكر الشيخ الببلاوي من النصوص القرآنية ما يدل على ذلك، فقال: " فنزّه سبحانه نفسه أن يشبهه شيء من المخلوقات أو يشبه هو شيء منها بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [2]، وأثبت رؤيته تعالى في الدار الآخرة بظاهر قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ *إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[3]، ونفي الإحاطة لمدركه بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[4]، وأثبت كونه قادرًا بقوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [5]، وكونه عالمًا بقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ 6))، وكونه مريدًا بقوله: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [7]، ٠٠٠٠ وأثبت إرسال الرسل بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا

---

(١) - روضة المدارس المصرية المقالة العاشرة: في العدد التاسع عشر (١٩) من السنة الرابعة (٤) الصادر في يوم الخميس ١٥ شوال سنة ١٢٩٠ هـ. صـ ٥، ٦، ٧، ٨.

(٢) – سورة الشورى من الآية (١١).

(٣) – سورة القيامة الآية (٢٢، ٢٣).

(٤) – سورة الأنعام من الآية (١٠٣).

(٥)– سورة المائدة من الآية (١٢٠).

(6)– سورة الطلاق من الآية (١٢)

(٧) – سورة هود من الآية (١٠٧)، وسورة البروج الآية (١٦).

رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾[1]، ورسالة محمد ﷺ بقوله: ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾[2]، وأنّه آخر الأنبياء بقوله: ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[3]، وأثبت أنّ كلّ ما سواه خلقه بقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾[4]، وأنّه خالق الجن بقوله: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾[5]، وحشر الأجساد بقوله: ﴿ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴾[6] إلى أمثال هذا مما يحتاجه الإنسان في عقائده من حشرٍ ونشرٍ، وقضاءٍ وقدرٍ، وجنةٍ ونارٍ، وقبرٍ، وميزانٍ، وحوضٍ، وصراطٍ، وحسابٍ، وصحفٍ ٠٠٠".[7]

والشيخ أراد من خلال حديثه عن العقيدة أن يذكر بأن لها على حياة الفرد والمجتمع أثرًا بارزًا، وعنصرًا فعالًا، وعاملًا قويًّا؛ لأنها التي تقوده إلى الظفر والنجاح، وأنها " تضمن له الفلاح فيما يعرض له من مشروعاتٍ عمرانيّة أو أدبيّة؛ لأنّها ستزوده بطاقاتٍ جديدةٍ خلّاقة من الثقة بالنّفس، والاعتماد عليها، والإيمان بوصوله إلى غايته، وبلوغ بغيته، مؤيّدًا في ذلك كلّه بمددٍ إلهيّ، فالإيمان هو الذي يفجّر الطاقات الكامنة في الإنسان، فتندفع بقوة العقيدة- في الله، وفي الدار الآخرة- لصنع البطولات، وإنشاء الروائع، وهو الذي يحلّ مشكلة النزعة الفرديّة (الذاتيّة) عند الإنسان، حين يخرجه من حدود أنانيته الضيّقة إلى رحاب القاعدة العلميّة التربوية العامّة في السلوك (إيمانًا بعدالة

---

(١) - سورة يوسف من الآية (١٠٩)، وسورة النحل من الآية (٤٣).

(٢) - سورة الفتح من الآية (٢٩).

(٣)- سورة الأحزاب من الآية (٤٠).

(٤) - سورة الزمر من الآية (٦٢).

(٥) - سورة الذاريات الآية (٥٦).

(٦) - سورة طه الآية (٥٥).

(٧) - روضة المدارس المصرية المقالة العاشرة: في العدد التاسع عشر (١٩) من السنة الرابعة (٤) الصادر في يوم الخميس ١٥ شوال سنة ١٢٩٠ هـ. صـ ٥، ٦، ٧، ٨.

الله – سبحانه–) حين يعلّمه أن ما يقدّمه من خيرٍ، وما يضحّي به من جهدٍ، وما يبذل من مالٍ ونفس، لن يضيع عند الله مثقال ذرة، وفي رحاب هذا تختفي الأحقاد، وتنكمش مشاعر الحسد والبغضاء، ويرتفع الإنسان من الأنانية الدنيا إلى الغيرية العليا، وتتحول المشاعر الرقيقة من الأخوة والمحبّة والإيثار إلى تلاحمٍ في الخير، وتراحمٍ في السّراء والضراء، وتعاونٍ على البّر والتقوى".[١]

وبالجملة فإن شَيخنا – عليه رحْمةُ اللهِ – تعالى – إذْ يَتَناولُ هذهِ المَوضُوعاتِ يُحاوِلُ أنْ يَأْخذَ من كُلّ وَاحدةٍ منْها بِإضاءَةٍ تَهْدِي الحَيارَى، وبِشُعْلَةٍ تُنِيرُ لِلسّالِكِينَ سَبِيلَهمْ، وتُوضّحُ لِلمُؤْمِنينَ طَرِيقَهمْ، وتَرْسِمُ السّعادَةَ لِطَالِبِيهَا، وتُحَقّقُ الخَيْرَ لِرَاجِيهِ، وقد ربط بيْنَ هذه المَوْضوعاتِ وبَين وُجوهِ الإعْجازِ، من خِلالِ تَعْويلِهِ على خَوَاصّ الإعْجازِ، وأنّها ثَلاثةٌ هيَ الوَجْهُ في الإعْجازِ: الفَصاحَةُ في أَلْفاظِه، والبَلاغةُ في المَعانِي، وجَوْدَة النّظْمِ، وحُسْنُ التّأليفِ، فإنّكَ تَرَى فِيما ذُكِرَ من هذه العُلومِ مَنظُومًا على أَتمّ نِظَامٍ وأَحْسَنِه وأَكْمَله، فَهذِه هيَ الوَجهُ في الإعْجازِ.

وهو بهذا يشير إلى ما عُرِفَ فِيما بَعدُ بالتّفسيرِ الأَدَبِي الاجْتِماعِي الّذي ظَهَرَ علَى يَدِ زَمِيلِه وقَرِينِه الإمَام محمد عَبده؛ إذْ يُعْنَى هذا اللّونُ منَ التّفسيرِ بِمُعالَجَةِ النّصوصِ القُرآنِيّةِ مُعالَجةً تَقُومُ على إِظْهارِ مَواضِعِ الدّقةِ في التّعْبيرِ القُرآنِي، وبَيانِ المَعانِي الّتي يَهْدفُ إلَيْها القُرآنُ، وتَطْبِيقِ النّصِ القُرآنِي على ما في الكَوْنِ من سِرّ الاجْتِماعِ، ونُظُمِ العُمْرانِ.[٢]

(١) – العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع د/ محمد بيصار صـ٦٨، ٨٨، ط: مكتبة الأنجلو المصريّة، (٣) عام ١٩٧٢م، دراسة في علم العقيدة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنّة تأليف/ أحمد علي الملّا صـ٤٠٦، وما بعدها بتصرف، ط: دار اليمامة– دمشق، (١) ١٤٠٦ هـ=١٩٨٦م.

(٢) – التفسير والمفسرون للدكتور/ محمد حسين الذهبي ٢/ ٤٧٨ وما بعدها، ط: دار الحديث – القاهرة.

المبحث الثالث

أَثَرُ الإعْجازِ القرآني في العَلاقاتِ الإنْسَانِيّةِ

وفيه مطلبان:

مدخل: إن النّاظِر فِيما كَتَبَه إمامُنا الببلاوي يَجِدُ أنّه يُبيّنُ ما لِهَذا الإعْجازِ من تَأْثيرٍ في العَلاقاتِ البَشرِيّةِ؛ لِما في ذَلكَ من تَرْبِيةِ المَلَكَةِ اللّغَوِيّةِ، وتَنْمِيةِ المَوَاهِبِ الإنْسانِيّة، وكما يَقول ابْنُ خَلْدُونٍ في مُقَدّمَتِه: " إنّ أَوّلَ ما يَنْبَغِي تَنْمِيتُه لِلوصُــولِ إلى الكَفاءَةِ البَلاغيّةِ: الثّروَةُ اللّفْظيّةُ، ومَعْرفَةُ التّراكِيبِ وفُنونِها، ومَعْرِفةُ الفُروقِ بَيْنَهما ودَلالَتِها، وكُلّ ذلكَ يُؤدّي إلى تَنْمِيةِ الذّوقِ لِلوصُــولِ إلى الاخْتِيارِ والاصْطِفاءِ، ثُمّ التّقليدِ والمُحاكَاةِ، ثُمّ الإنْشاءِ قَدْرَ الإمْكانِ".[١]

المطلب الأول: تكوين العقلية الإنسانية الإسلامية، عن طريق الذوق وتنمية المواهب:

فَمِمّا تَقُومُ عليه البَلاغةُ: الذّوقُ الفِطْريّ، الّذي يَجْعلُ الإنْســانَ يَجِدُ في بَعضِ الأَسَــالِيبِ من جَميلِ الكَلِماتِ، وقُوّةِ مَعانِيها، وحُسْنِ تَأْلِيفِها ما لا يَجِدُ في غَيْرِها، وهذا ما يَجْعَلُ الإمامُ عبدُ القاهرِ الجُرجانِيّ يُوضّحُ أنّ إدْراكَ البَلاغةِ يَكُونُ بِالذّوقِ وإحْساسِ النّفْسِ.[٢]

والسّــكاكيّ يَجْعلُ الوَسِــيلةَ لِإدْراكِ الإعْجازِ هُو: الذّوقُ، وأنّهُ لا سَــبيلَ لِتَكْوِينِ الذّوقِ، وتَنْمِيةِ مَلَكتِه إلّا بِطُولِ خِدْمَةِ عِلْمَيْ: المَعانِي والبَيانِ[٣]، بِمعْنى: أنّ الذّوقَ الّذي كان عِندَ العَربِ هُو الّذي جَعَلَهمْ يُدْرِكُونَ إعْجازَ القُرآنِ، وأنّ السّــبيلَ لَنا في إدْراكِ إعْجازِ القُرآنِ إنّما يَكُونُ بِدِراسَــةِ عُلومِ البَلاغَةِ.

فَلِكَيْ يُقْنعَ الكَلامُ ويُمْتِعَ قَارِئَه ومُسْــتَمِعَهُ لا بُدّ فيهِ من أُمُورٍ منْها: الْإِبَانَةُ والإفْصــاحُ، والإقْناعُ

(١) – مقدمة ابن خلدون صـ٦٥٦، ط: المطبعة الشرقية.

(٢) – دلائل الإعجاز صـ٥٤٦.

(٣) – مفتاح العلوم صـ٤١٦.

والْإِمْتاعُ، والإِثَارَةُ والاسْـتِشَـعارُ[١]، فَبِهذِه الأُمُورِ يَبْلُغُ الكَلامُ الذّرْوَةَ في الإتْقانِ والإحْكامِ، ويَمْلِكُ زِمَامَ القَلْبِ وعَنَانَ العَقْلِ؛ لِمَا فيهِ من رَتَابَةِ الأُسْلوبِ، وسَلامَةِ الطّبْعِ، وعُمْقِ الفَكْرِ، وصَوَابِ النّظَرِ، وذلك ما أشـار إليه الإمام الببلاوي حيث كان كثيرًا ما يحيل القارئ الكريم إلى عقله من خلال حُسن التدبر، ودقة التأمل، فتراه يقول: " وإذا دققت النظر تجد القرآن الكريم منطويًا على وجوه من الإعجاز كثيرة٠٠".[٢]

وأنك بهذا التأمل تدرك ما للقرآن من جلال وكمال أعجز البشـر عن الإتيان بمثله، فيقول: "...فإذا تأملتَ هذه الآية وأمثالَها علمتَ أنّه كلامُ من أحاط بكل شـيء علمًا، يتعذّرُ على البشـر الإتيان بمثله؛ لأنّ علمهم لا يحيط بجميع اللغة، وظروف معانيها، فأفهامهم لا تدرك جميع المعاني، ولا تحيط بوجوه نظمها؛ حتى يتخيّروا أحسـنها، فيأتوا بمثله؛ لأنّ الكلام إنّما يكون بلفظٍ حاملٍ، ومعنى عليه قائمٌ، ورباطٌ له ناظمٌ، فإذا تأملتَ القرآن وجدتَه استوفى ذلك كلّه، ورقى أعلى درجَاته، وهذا لا يتيسّـر لغير العليم القدير، فصـار القرآنُ معجزًا؛ لأنّه جاء بأحسـن الألفاظ، وأبدع النظم والتأليف، وأحسـن المعاني٠٠"[٣]، ويقول: " ٠٠٠ فإذا تأمّل الفَطِنُ ما احتوتْ عليه هذه الآية مع إيجازها، وتدبّر حقيقة الألفاظ ومجازها، عَلِمَ أنّه كلامُ حكيمٍ، عامّ القدرة بكلّ شـيءٍ عليم؛ لأنّها قد جمعتْ كلّ ما ينبغي للمؤمنين أن يفعلوه، على أحسن التراكيب وأجمل الوجوه، ٠٠".[٤]

فقد أوضـح أنّ " من أهم الأسـاليب العلمية دقّة الملاحظة وتكرارها في مختلف الأحوال، والملاحظة الدقيقة تعتمد على الحسّ المرهَف وعلى التفكير العميق، وأنّ المدارك العقلية تعتمد

(١) – ينظر: النبأ العظيم، أ.د/ محمد عبد الله دراز، صـ ١٤٣ وما بعدها.

(٢) – المخطوط صـ ١١.

(٣) – المخطوط، صـ ١٨.

(٤) – المرجع السابق الصفحة نفسها.

على جناحين قويين هما: الاقتناع الفكري، والتجاوب العاطفي، وكلما تدبر الإنسان آيات الكتاب الكريم، أو آيات الخالق العظيم امتلأ عقله بالتصديق، وقلبه باليقين، وما العقل والقلب إلا مظهران متكاملان متساندان، أو هما وعاء واحد للإيمان، ولهذا اتجهت الدعوة القرآنية إلى العقل وإلى القلب معًا، ومزجت بين المنطق الفكري والمنطق الوجداني ٠٠ "[١].

كما أن الإمام أشار إلى خاصية من خصائص التعبير القرآني الدالة على إعجازه، وهي: التكرار، فيقول: " ففي الإعادة فوائدٌ كثيرة لا يعقلها إلا العالمون، وما تقدّم من إعادة القصة الواحدة بأساليب متغايرة مناسبٌ كلّ أسلوب منها لموضع ذكره، دليلٌ على عِظَمِ قدرة قائلها، وإحاطته علمًا بمقتضيات الأحوال"[٢]، فالتكرير والتوكيد من أهم الأساليب التربوية في الإقناع، فهما عنصران قويان في تكوين الآراء وذيوعها، وتأسيس الأفكار وانتشارها، ولا تختص بهما الأمة العربية وحدها أو اللغة العربية بعينها، بل هما أسلوبان عالميان، وإليهما تستند التربية في كثير من المسائل، ولعالمية أسلوب التكرير والذي إن دل فإنما يدل على عالمية القرآن الكريم استخدمه القرآن كثيرًا للمجتمعين المكي والمدني.[٣]

كما أنه استعان بالمسائل المنطقية الأصولية في تحرير المسائل التي دار حولها خلاف ولا سيما في وجوه إعجاز القرآن فيقول: " واعلم أنّ الكلام في الوجه الذي لأجله كان القرآن معجزًا

---

(١) – فلسفة المعرفة في القرآن الكريم للأستاذ/ علي عبد العظيم، صـ ٨٩، ١٩٤ بتصرف، ط: مجلة الأزهر، شهر ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ، وينظر: ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني، صـ ٩١ وما بعدها، تحقيق: د/ سعيد بن أحمد الأفندي، ط: مؤسسة المختار (١) ١٤٢٨ هـ =٢٠٠٧م.

(٢) – المخطوط، صـ ٢٣.

(٣) – توفيق الرحمن في شرح أنواع من علوم القرآن، أ.د/ حمودة محمد داود سند، صـ ١٢٣، بتصرف، ط: دار الكتب الدينية (١) ١٤٠٧ هـ =١٩٨٦م.

دقيقٌ، ومن ثمّ كثرتْ فيه الأقاويل، واضطربتْ فيه المذاهب، فلنذكر ضبط المذاهب بذكر ما يتحمّله من الفساد٠٠٠ فظهر بما لخّصناه من الحصر أنّ كون القرآن معجزًا: إمّا أن يكون للصرفة، أو للنظم، أو لسلامة ألفاظه من التعقيد، أو لخلوه عن التناقض، أو لأجل اشتماله على المعاني الدقيقة، أو لاشتماله على الإخبار بالعلوم الغيبية، أو لأجل الفصاحة والبلاغة، أو لما يتركّب من بعض هذه الوجوه، أو من كلّها كما بيّن، ولنذكر كلّ واحدٍ من هذه الأقسام، ونُبطله سوى المختار منها".(١)

ومن الوسائل التربوية التي من خلالها ترسخ المسائل العلمية في الأذهان، وتستقر في النفوس وبخاصة تلك التي تعددت فيها الأقاويل، واختلفت المذاهب، وسيلة المناقشة من خلال السؤال والجواب، وقد اتبع الإمام هذه الوسيلة بل وطبقها لتخلص إليه النتيجة مدعمة بالأدلة والبراهين؛ إذ قوة الدليل وسلامته من الاعتراض وضعف أدلة الخصم والاعتراض عليها من أهم العوامل المرجحة للقول، قال الببلاوي: " والبرهان على ما قلناه من أنّ هذه الخواص هي وجه الإعجاز٠٠٠ وتمام تقرير هذه الدلالة يكون بإيراد أسئلة واردة عليها، والأجوبة عنها ، فلنورد ذلك؛ لتتم الدلالة٠٠٠".(٢)

وبالجملة فإن الشيخ الببلاوي قد أوضح لنا سبل وسائل المعرفة، وطرق تكوين العقلية المثمرة المنتجة، والتي تعتمد على التفكير العلمي السليم، والأسلوب المنطقي القويم، والمواهب السوية؛ إذ بذلك يتحرر العقل من أوهام التقليد، ويتحقق لديه التمييز والدقة في اختيار ما يلقى إليه من علوم ومعارف، وتتقدم البشرية في سبيل الرقي والكمال، وتبني الحضارة وتصنع التاريخ.

---

(١) – المخطوط، صـ٣١ وما بعدها.

(٢) – روضة المدارس المصرية المقالة الثامنة: في العدد الحادي عشر (١١) من السنة الرابعة (٤) الصادر في يوم الجمعة ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٩٠ هـ. صـ ١١، ١٢، ١٣، ١٤.

المطلب الثاني: الإعجاز البلاغي ومستجدات العصر: رؤية قرآنية في آيات التحدي:

القرآن الكريم كتاب هداية وإعجاز، وذلك في كل عصر ومصر، وفي كل زمان ومكان يجد الناس فيه أتم ما يوافق حياتهم، وأوفى ما يحقق سعادتهم، وعلى حد تعبير الشيخ البيلاوي: (ومن عظم قدر القرآن: أنّه تعالى خصّه بأنّه دعوة وحجّة، ولم يكن مثل ذلك لنبيّ قطّ، إنّما كان لكلٍّ منهم دعوة، ثم تكون له حجة غيرها، وقد جمعها الله لرسوله ﷺ في القرآن، فهو دعوة بمعانيه، حجة بألفاظه، وكفى الدعوة شرفًا أن تكون حجتها معها، وكفى الحجة شرفًا أن لا تنفصل الدعوة عنها).[1]

وإنّ تعدد وجوه إعجاز القرآن الكريم لخير شاهد ودليل على مواكبته لكل عصر؛ إذ كلما جد في حياة الناس جديد وجدوا في القرآن إشارات إليه ودليلًا عليه، فيأخذ بأيديهم إلى أقوم طريق، وأهدى سبيل، فيتم التجديد في التحدي، بأن نتحدى (بهذا القرآن تحديًا علميًّا إصلاحيا سياسيًّا في أرقى عهد للبشر في العلم الكسبي،... نتحداهم به تحديًا عمليًّا من حيث إن تنفيذ محمد ﷺ لإصلاحه في تأثيره وسرعته وعمومه من أكبر المعجزات التي تفوق استعداد البشر، فكيف وقد اجتمع العلم والعمل).[2]

فقد ذكر الإمام البيلاوي أن الراجح من وجوه إعجاز القرآن هو ما تحقق فيه ثلاثة معانٍ: الأولى: الفصاحة في ألفاظه، وتنزيهه عن التعقيد والثقل، وخفته على الألسنة، الثانية: البلاغة في المعاني، الثالثة: جودة النظم، وحُسْن التأليف، ثم قال: (والبرهان على ما قلناه من أنّ هذه الخواص هي وجه الإعجاز: هو أنّ الآيات التي يُذكر فيها التحدي واردةٌ على جهة الإطلاق، ليس فيها تحدٍّ

---

(١) – روضة المدارس المصرية المقالة العاشرة: في العدد التاسع عشر (١٩) من السنة الرابعة (٤) الصادر في يوم الخميس ١٥ شوال سنة ١٢٩٠ هـ. صـ ٥، ٦، ٧، ٨.

(٢) – الوحي المحمدي للسيد محمد رشيد رضا، صـ٣٠٢.

بجهة دون أخرى؛ لأنّه لم يذكر فيها أنّه: تحداهم بشيءٍ معينٍ، كالبلاغة، أو الفصاحة، أو جودة النظم والسياق، ولا بكونه مشتملًا على الأمور الغيبية، ولا لاشتماله على الأسرار والدقائق، ولا لتضمنه المحاسن والغرائب، فلم تقع الإشارة إلى شيءٍ خاصٍّ يكون مقصدًا للتحدي، وإنّما قال: (بمثله) ، و(بسورة)، و (بعشر سور)، على الإطلاق).[١]

وإذا ما أخذنا هذه الأمور وأردنا أن نطبقها على القرآن الكريم وعلى سبيل المثال في الآيات التي تحدثت عن التحدي والإعجاز والتي أوردها الإمام الببلاوي؛ لننطلق من جمال الألفاظ إلى كمال المعاني، ونقف على جلال النظم، فإننا نراها قد اشتملت على عدة عناصر جديرة بأن تحقق الترابط الإنساني بين بني البشر، وتثمر الدعوة إلى الله – تعالى- بالحكمة والموعظة الحسنة، والاسترشاد بهديه، والاستمساك بكتابه الكريم، وهي على النحو التالي:

الأول: الإعجاز البلاغي وتوثيق الأخوة الإنسانية:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾. [٢]

فهذه الآية الكريمة جاءت في إطار سياق دعوة الناس إلى الدين الحق، وذكر دلائله وبراهينه، قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٣]، فهذه الآيات جاءت (مصرحات بدعوة الناس إلى دين الله – تعالى-

(١) – روضة المدارس المصرية لمقالة الثامنة: في العدد الحادي عشر (١١) من السنة الرابعة (٤) الصادر في يوم الجمعة ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٩٠ هـ . صـ ١١، ١٢، ١٣، ١٤.

(٢) – سورة البقرة الآية (٢٣).

(٣) – سورة البقرة الآية (٢١، ٢٢).

الحق ببيان أصـوله وأسـسـه، وهي: ١ – توحيد الألوهية بعبادة الله – تعالى – وحده، ٢ – القرآن آيته الكبرى ودينه التفصـيلي، ٣– نبوة محمد ﷺ المرسـل بهذا القرآن، ٤ – الجزاء في الآخرة على الكفر وأعماله بالنار، وعلى الإيمان وأعماله بالجنة، والمعنى: يا أيها الناس عليكم – بعد أن تنسلوا من مضـايق الوسـاوس، وتتسـللوا من مآزق الهواجس وتنزعوا ما طوقكم به التقليد من القلائد، وتكسـروا مقاطر ما ورثتم من العوائد – أن تهرعوا إلى الحق فتطلبوه ببرهانه، وأن تبادروا إلى ما دعيتم إليه فتأخذوه بربانه، فإن خفي عليكم الحق بذاته، فهذه آية من أظهر آياته، وهي عجزكم عن الإتيان بسورة من مثل سور القرآن).[١]

فالآيات فيها دعوة إلى الاتحاد وجمع الكلمة والاستفادة من الآيات الكونية السماوية منها والأرضية للإيمان بالآيات القرآنية وأنها من عند الله – تعالى – الواحد الأحد نزل بها أمين الوحي جبريل – عليه السلام – على قلب رسول الإنسانية محمد ﷺ، وأن نشر رسالة الإسلام لا بد وأن تكون مصحوبة بالأدلة العقلية والبراهين المنطقية والواقع المشاهد المحسوس، فالآية (واردةٌ بعد إقامة البرهان على إثبات التوحيد وإبطال الشّرك، فالواجب بعد ذلك إقامة البرهان على إثبات نُبوّة الرسول ﷺ ولا تثبت النّبوة إلا بإظهار المعجزة، وهي التحدي بسورة فذّةٍ من هذا الكتاب الكريم).[٢]

الثاني: الإعجاز البلاغي وتفنيد الأفكار الهدامة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[٣]، تعتبر سورة يونس من السور المكية التي تدور موضوعاتها حول بناء العقيدة الصحيحة

(١) – تفسير المنار ١/ ١٩٣، ١٩٩، وينظر: تفسير القرآن الكريم للشيخ/ محمود شلتوت صـ ٧١.

(٢) – فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للطيبي ٨/ ٣٠، وينظر: زهرة التفاسير للشيخ محمد أبي زهرة ١/ ١٦٥.

(٣) – سورة يونس الآية (٣٨).

وفساد عقائد المشركين وإبطال مزاعمهم[١]، وسلكت في تحقيق ذلك طريقة الحوار القائمة في صورة السؤال والجواب، وهي إحدى الطرق المثلى في الاستجابة والاستفادة، ويظهر ذلك بارزًا في الآيات السابقة لهذه الآية التي معنا، حيث يقول الله – تعالى-: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ * كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ * قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ * وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢]، فالله – تعالى- رد بهتان المشركين، وفند افتراءات الضالين المكذبين، وأقام (الأدلة على انفراد الله بالإلهية وعلى إثبات البعث، وإنذارهم بما نال الأمم من قبلهم، وتذكيرهم بنعم الله عليهم وإمهالهم، وبيان خطئهم في اعتقاد الشرك اعتقادا مبنيا على سوء النظر والقياس الفاسد، لا جرم عاد الكلام إلى قولهم في القرآن بإبطال رأيهم الذي هو من الظن الباطل أيضا بقياسهم أحوال النبوءة والوحي بمقياس عاداتهم كما قاسوا حقيقة الإلهية بمثل ذلك، فقارعتهم هذه الآية بذكر صفات القرآن في ذاته الدالة على أنه حق من الله وتحدتهم بالإعجاز عن

---

(١) – بصائر ذوي التمييز ١/ ٢٣٨، قال الشيخ دروزة: (في السورة حكاية أقوال ومواقف عديدة للكفار، وردود عليها وتسفيه لهم على باطل تقاليدهم وسخيف عقائدهم وشدة عنادهم ومكابرتهم. وإفحام لهم في سياق الجدل والمناظرة. وفيها لفت نظر الناس إلى آيات الله ومظاهر قدرته في الكون وتبشير وإنذار بالآخرة وحسابها وثوابها وعقابها وشرح لأثر الإيمان والكفر في نفوس الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة٠٠٠) التفسير الحديث ٣/ ٤٢٢.

(٢) – سورة يونس الآية (٣١– ٣٧).

الإتيان بمثله).[١]

فالنظم القرآني للآيات قبل أن يورد التحدي للمشركين الذي من خلاله يظهر عجزهم، سفّه أحلامهم، وأبطل مزاعمهم، ووبخهم على افتراءاتهم، وبكّتهم على مقالاتهم الفاسدة، ووصف القرآن الكريم بصفات الكمال والجمال والجلال؛ إذ هو متصف بصفات منافية للافتراء، ومصدق للكتب السماوية السابقة، وخالٍ من الريب والشك، لمَ لا وهو تنزيل رب العالمين، فهو ﷻ قد أمر نبيه محمدًا ﷺ (أن يقيم الحجة على المشركين، ويبطل ما هم عليه من الإشراك بأسئلة ثمانية، أجاب المشركون عن الخمسة الأولى، وأجاب رسول الله ﷺ عن الاثنين بعدها بتعليم الله له، وجواب الأخير لم يذكر للعلم به).[٢]

الثالث: الإعجاز البلاغي وعوامل البناء الحضاري:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[٣]، فالآية الكريمة واردة في سياق آيات افتتحها الله –تعالى– بمقومات الحضارة، وأساس بنائها، وسبل رقيها، حيث قال سبحانه: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾، أي أنكم إن حققتم العوامل الرئيسة في معالي الأمور، ومنها الاستغفار والتوبة، والتي لا محالة تتفرع عنها بقية مكارم الأخلاق أفاض الله – تعالى– عليكم من متع الحياة وزينتها من يحقق لكم الهناءة والأمن والراحة والسعادة، فإن (تجتنبوا الشرك وتؤمنوا بالله وتستغفروه يمتعكم متاعًا حسنًا تكونون به خير الأمم نعمة وقوة وعزة ويعط كل ذي فضل من علم وعمل جزاء فضله، أما في الآخرة فهو مطّرد دائما، بخلاف ما لو أعرضتم فإن هناك سنّة مطردة في الأمم،

---

(١) – التحرير والتنوير ١١/ ١٦٧، وينظر: زهرة التفاسير ٧/ ٣٥٧١، التفسير الوسيط د/ محمد سيد طنطاوي ٧/ ٧٠.

(٢) – حاشية الصاوي على الجلالين ٢/ ٢٠٥.

(٣) – سورة هود الآية (١٣).

هي أن الأمم التي تصرّ على الظلم والفسوق والعصيان يهلكها الله تعالى في الدنيا بالضعف والشقاق وخراب العمران حتى تزول منعتها وتتمزق وحدتها)[١]، وقد تحدى الله – تعالى- البشرية التي تريد بناء حضارة على غير تلك الأسس التي أوضحها هذا القرآن الكريم، وقد تنكبت طائفة منهم الطريق وافترت على الله – تعالى- وعلى رسوله ﷺ، فقد تحداهم الله سبحانه بأن يأتوا بعشر سور مثل القرآن الكريم في جودة أسلوبه وبديع نظمه، محتوية على التشريع القيّم في شئون الدين والدنيا، ودعاهم بأن يستعينوا بمن يظاهروهم ويعاونوهم على ذلك، فعجزوا ولم يجدوا من يستجيب لهم.

وسورة هود فيها عنصران أساسيان هما التهديد والترغيب، وأنهما (أمران متلازمان مفيدان في إصلاح الأفراد والمجتمعات، وبناء الأمة وتحقيق غلبتها على خصومها، وأنها عولت على محاربة الفســاد في الأرض من أجل حفظ الأمة والأفراد من الهلاك، وبيان أنه لا إهلاك ولا عذاب للأمم في حال الإصلاح، و تهديد المعرضين عن دعوة الحق بالعذاب، وجعل العاقبة للمتقين).[٢]

الرابع: الإعجاز البلاغي وتحقيق الكرامة الإنسانية.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[٣]، فالله – تعالى- بعد أن ذكر مكانة الإنسان ومنزلته وأن له من التكريم والتفضيل[٤] ما يجعله يتأمل أمره ويقوم بواجب شكر هذه النعمة، مسترشدًا بأمر ربه – ﷻ- ومستوحيًا مواهبه الإنسانية العليا من منهج القرآن الكريم الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين[٥]، وإذ لم يعرفوا جلالة

---

(١) – تفسير المراغي ١١/ ١٦٩ بتصرف، وينظر: تفسير المنار ١٢/ ٨، تفسير الشيخ الشعراوي ١٠/ ٣٦٠٨.

(٢) – التفسير المنير د/ وهبة الزحيلي ١٢/ ١٠ بتصرف.

(٣) – سورة الإسراء الآية (٨٨).

(٤) – ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ سورة الإسراء الآية (٧٠).

(٥) – ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ سورة الإسراء الآية (٨٢).

هذا القرآن الكريم، وادعوا أنه من عند البشر، فليأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغة الألفاظ، وحسن المعاني، ودقة النظم، وليجتمعوا هم ومن يثقون – توهمًا- بقوتهم من الجن، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا.

قال الإمام الآلوسي: (... إنه تعالى فضّل الإنسان على سائر الحيوانات بأمور خلقية طبيعية ذاتية مثل العقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة المديدة، ثمّ إنّه -ﷻ- عرضه بواسطة العقل والفهم لاكتساب العقائد الحقة والأخلاق الفاضلة، فالأول هو التكريم والثاني هو التفضيل، فكأنه قيل: فضلناهم بالتعريض لاكتساب ما فيه النجاة والزلفى بواسطة ما كرمناهم به من مبادي ذلك فعليهم أن يشكروا ويصرفوا ما خلق لهم لما خلق له فيوحدوا الله تعالى ولا يشركوا به شيئا ويرفضوا ما هم عليه من عبادة غيره -ﷻ-).[1]

ثم إنه تعالى ذكر ما فيه تقويم الدين واستصلاح النفوس عن طريق القرآن الكريم، فأورده عاطفًا إياه على قوله: " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا "، فقال: " وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ "[2]، فقد قال الشيخ البلاوي بأن القرآن الكريم هو: (الدواء من الأمراض الروحانية كالاعتقادات الفاسدة في الإلهيات والنبوات والسمعيات، ومن الأخلاق المذمومة، فإنّ فيه أوضح بيان لأنواعها، وحثّ على اجتنابها، ودواء من الأمراض الجسمانية بالتبرك بقراءته عليها مع الإخلاص، وفراغ القلب من الأغيار، والإقبال على الله بكليته، وعدم أكل الحرام، فقراءة من هذا حاله مبرئة للأمراض وإن أعيت الأطباء، ولهذا قال بعض الأئمة: متى تخلّف الشفاء فهو: إما لضعف تأثير الفاعل، أو لعدم قبول المحل المنفعل، أو لمانع قويّ يمنع أن ينجع فيه الدواء، قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ ﴾[3].

---

(١) – روح المعاني ١٥/ ٥٢٦.

(٢) – نظم الدرر للبقاعي ١١/ ٤٩٧.

(٣) – سورة الإسراء من الآية (٨٢)، ينظر: مفاتيح الغيب للرازي٢١/ ٣١، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل١٢/ ٣٦٩، روح المعاني للآلوسي١٥/ ٥٦٧.

فالقرآن الكريم من أكبر النعم والفضـــل على بني آدم وقد أنزله الله – تعالى – على نبيه محمد ﷺ وجعله الدليل على رسالته، وهو المعجزة الكبرى الذي عجز العالم كله إنسه وجنه عن الإتيان بمثله؛ إذ هو الباقي بقاء الدهر، فقد أبقى له ذكرًا إلى آخر الدهر ورفع له قدرًا به في الدنيا والآخرة.[١]

وعليه فـــ (إن الكرامة التي يقررها الإسلام للشخصية الإنسانية، ليست كرامة مفردة ولكنها كرامة مثلثة: كرامة هي عصمة وحماية، وكرامة هي عزة وسيادة، وكرامة هي استحقاق وجدارة٠٠ كرامة يستغلها الإنسانية من طبيعته: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [٢]، وكرامة تتغذى من عقيدته ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣]، وكرامة يستوجبها بعمله وسيرته: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾[٤]، ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾[٥]٠٠٠ كرامة يعرف بها أن مكانته في هذا العالم مكانة السيد لا المسود، لا أعني سيادة الإنسان على الإنسان، وإنما هي من جهة سيادة عالمية يسيطر بها المرء على مختلف الأشياء في البر والبحر والهواء، كرامة تأبى بصاحبها أن يهون على نفسه، وأن يذل لمخلوق غيره كائنًا من كان، فيضم كرامة الإيمان إلى كرامة الإنسان، ويرتقي من مستوى الطبيعة ومن مستوى العقيدة إلى مستوى السلوك والسيرة؛ لتلقي بمرتبة ينشئها المرء إنشاءً ويكتسبها اكتسابًا بما يخطه لنفسه من نهج حميد، وما يحققه بجده وجهده من أهداف رفيعة، مستوحيًا مواهبه الإنسانة العليا، مسيطرًا على قواه وغرائزه الدنيا، مسترشدًا بأمر ربه وهداه، محاذرًا

---

(١) – البحر المحيط لأبي حيان ٧/ ١٠٨.

(٢) – سورة الإسراء من الآية (٧٠).

(٣) – سورة المنافقون من الآية (٨).

(٤) – سورة الأنعام من الآية (١٣٢).

(٥) – سورة هود من الآية (٣).

من خدع شيطانه وهواه ...).[1]

وبالجملة، فإن لهذه المعاني السامية، وتلك التوجيهات السديدة، والإرشادات الرشيدة، ذكر الإمام البلاوي أن الوجه الراجح والمختار في وجوه إعجاز القرآن والذي عوّل عليه الجهابذة من أهل الصناعة، هو (أن الوجه في إعجازه إنما هو ما تضمنه من المزايا الظاهرة، والبدائع الرائعة الزاهرة، في الفواتح والخواتم، والمبادئ والمقاصد في ابتداء كلّ سورة، وفي مبادئ الآيات وفواصلها[2]، وهذا هو الوجه السديد في وجه الإعجاز للقرآن ...).[3]

فهو قد اعتمد في دفع موهم هذا التعارض في آيات التحدي على سياقات السور، وبيان الموضوعات التي جاءت لتعالجها كل سورة على حِدَة؛ إذ ذاك هو النظم القرآني، وهو ما ذهب إليه الطيبي حيث قال: (... وقلتُ- والعلم عند الله-: والذي يقتضيه المقام أنّ التي في سورة البقرة ويونس واردةٌ بعد إقامة البرهان على إثبات التوحيد وإبطال الشّرك، فالواجب بعد ذلك إقامة البرهان على إثبات نُبوّة الرسول ﷺ ولا تثبت النّبوة إلا بإظهار المعجزة، وهي التحدي بسورة فذّةٍ من هذا الكتاب الكريم، ... وما نحن بصدده – يقصد سورة هود – حيث التحدي بعشر سور- واردٌ في تعنت الكفرة واقتراحهم الآيات عنادًا واستهزاءً ...).[4]

---

(١) – نظرات في الإسلام أ.د/ محمد عبد الله دراز، صـ١٠٦ وما بعدها بتصرف، ط: هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، مجلة الأزهر عدد ذو القعدة ١٤٣٦ هـ.

(٢)- ينظر: تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن المهايمي ١/ ٣، ط: مطبعة بولاق بمصر، معترك الأقران في إعجاز القرآن السيوطي ١/ ٥٨، ومراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع للسيوطي، ط: دار المنهاج – الرياض، (١) ١٤٢٦ هـ

(٣) – * المقالة السابعة: في العدد السابع (٧) من السنة الرابعة (٤) الصادر في يوم الثلاث ١٥ ربيع الآخر سنة ١٢٩٠هـ. صـ ٥، ٦، ٧.

(٤) – فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ٨/ ٣٠، ٣١.

خاتمـــة

الحمد لله ذي الفضـــل والإحســـان، علّم القرآن، خلق الإنســـان، والصـــلاة والســـلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد ولد عدنان، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، وبعد،

فإنّه مَنْ يُطالِعُ كِتابَ (إعْجازِ القُرآنِ) لِشـــيْخِنا الإمامِ البِبْلاوِي يَجِدُ أَنّ به تَجْدِيدًا وتَيْسِـــيرًا وتَسْـــهِيلًا، فَبَعْدَ أنْ ارْتَحَقَ شَـــذَا أَزْهارِ البَلاغةِ، وَارْتَعَ في رِياضِ نَواضِـــرِ الفَصـــاحَةِ، أَخْرَجَ لَنا شَـــرَابًا نَافِعًا سَائِغًا لِلشّارِبِينَ؛ حَيْثُ عاشَ كَلامَ البَلاغةِ، ويُرِينَا كَيْفَ نَعِيشُ بَلاغةَ الكَلامِ، من خلال البَحْثِ في أَسْـــرارِه، وأَهْـدافِه، وغَـاياتِه، وما فِيهَ من قِيَمٍ جَمـالِيّةٍ وفِكْرِيّةٍ، وتَذَوّقُ البَلاغةِ يَكُونُ بِعَرْضِ النّصـــوصِ الرّائِعةِ، وتَحْليلِ جَمالِها، فَالقَاعِدةُ لا يُمْكِنُ أنْ تَجْعَلكَ تُحِسّ بِالجَمالِ وتَتَذوّقَه؛ إذِ المُتْعَةُ الرّاقِيةُ تُنالُ بِفَهْمِ البَلاغةِ العَربيّةِ وتَذوّقِها، وهِي أَسْـــهَلُ وَسِـــيلَةٍ لِتَرْبِيةِ المَلَكاتِ، وتَوْسِـــيعِ المَدارِك، وتَنْمِيةِ المَواهِبِ.

وأوضح الشيخ أنّ فِكْرَةَ الإعجازِ كانتْ مَدْعاةً لِلبَحْثِ في أُسْلوبِ القُرآنِ الكَرِيمِ لِلكَشْفِ عن وُجُوهِ الإعْجازِ، ومَكامِنِ الجَمالِ فيهِ، وأنّ الأُســـلوبَ القُرآنيّ المُعْجز أُنْمُوذَجٌ لِلجَمالِ، وأنه قد ارتقى بمَلَكاتِ الإنْســـانِ، وبيّن قِيمَتِها في مَنظُومَةِ قِيمِ الحَيَاةِ، وأوضـــح ضَـــرُورَتِها في تَدْبِيرِ المَعيشَـــةِ وسِـــياسَـــةِ الأُمورِ، وأنه به إِضْـــفَاء الجَمالِ علَى هذا الوُجُودِ، وبذلك ارتبط الإعجاز القرآني بالتفسير الموضوعي.

وقد توصل هذا البحث إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

١- تعدد وجوه إعجاز القرآن الكريم خير شاهد ودليل على مواكبته لكل عصر؛ إذ كلما جد في حياة الناس جديد وجدوا في القرآن إشـــارات إليه ودليلًا عليه، فيأخذ بأيديهم إلى أقوم طريق، وأهدى سبيل، فيتم التجديد في التحدي.

٢- يؤخذ من معاني القرآن الكريم ما يؤصـــل بها قاعدة تربوية، تنطلق بها الأمة نحو الإصـــلاح

والترقي، وتبني تجديد دنياها بتجديد دينها، هذا التجديد الذي تقوم دعائمه على تأصيل الثوابت.

٣-يعتبر التجديد ضرورة دينية، وحقيقة واقعية، فهو يقوم على الإحياء والانبعاث، ويؤسس على الاستنباط والتفكير.

٤-حديث القُرآنِ عن القُرآنِ جَاء لِيُعبّرَ عن أُمورٍ مُعَيّنةٍ يَمْتازُ بِها القُرآنُ عن غَيرِه من صُورِ الكَلامِ، فَهُناكَ صِفاتٌ تَكْشفُ عن حَقِيقةِ القُرآنِ، وأُخْرَى تُحَدّدُ تَراكِيبَهُ، وثَالِثةٌ تُبيّنُ مَدى صِدْقِه، ورَابِعةٌ تَصِفُ سُمُوّ بَيانِه، وخامِسةٌ تَصِفُ إِرْشَادَه لِلعِبادِ، وسَادِسَةٌ تُعَبّرُ عن بَرَكَتِه.

٥-الوجوه والنظائر في القرآن الكريم من أكثر العلوم التصاقًا بالإعجاز واتصالًا به؛ إذ هو بمثابة النماذج التطبيقية له، والدراسة الميدانية لكثير من العلوم، فهو خير معين على فهم معاني القرآن الكريم وإدراك مقاصده.

٦-العقيدة لها أثر بارز، فهي عنصر فعال، وعامل قويّ في حياة الفرد والمجتمع؛ لأنها التي تقوده إلى الظفر والنجاح، وأنها تضمن له الفلاح فيما يعرض له من مشروعاتٍ عمرانيّة أو أدبيّة؛ لأنّها ستزوده بطاقاتٍ جديدةٍ خلّاقة من الثقة بالنّفس، والاعتماد عليها، والإيمان بوصوله إلى غايته، وبلوغ بغيته، مؤيّدًا في ذلك كلّه بمددٍ إلهي.

٧-الإعجاز ذاته أمرٌ لا خلاف فيه، فهو أوضح من أن يختفي منه شيء على ناظرٍ ينظر إليه من أي اتجاهٍ كان، وأما وجوه الإعجاز فقد اختلفوا فيها.

توصيات هذا البحث:

يطيب لهذه الدراسة أن تذكر بعضًا من التوصيات، وهي:

أولًا: البحث عن معالم التجديد عند العلماء العاملين، وبخاصة الذين كتبوا في التجديد لا عن التجديد؛ ليتسنى ربط الأصالة بالمعاصرة، والفهم الصحيح لنصوص الشرع الشريف.

ثانيًا: عمل مشاريع علمية تقوم على بيان أثر الإعجاز في توثيق العلاقات الإنسانية وتنمية المواهب البشرية.

ثالثًا: تحقيق كتب التراث، والتنقيب عن التراث الفكري لدى العلماء السابقين، والتي قاموا بنشرها في المجلات العلمية؛ إذ إنها تحتوي على كنوز معرفية، ودرر فكرية، وجواهر علمية جديرة بأن تحقق النهضة المرجوة لدى الأمة الإسلامية.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تحقيق: أ.د/ محمد متولي منصور، ط: دار التراث بالقاهرة.

٢- الأزهر الشريف في ضوء سيرة أعلامه الأجلاء رؤية فنية تاريخية د/ عبد الله سلامة نصر، ط: مكتبة الإيمان.

٣- إعجاز القرآن لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (المتوفى: ٤٠٣ هـ)، تحقيق/ السيد أحمد صقر، ط: دار المعارف – مصر، (٥) ١٩٩٧م.

٤- أعيان القرن الرابع عشر للعلامة المغفور له أحمد تيمور باشا مجلة الرسالة. الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية تأليف زكي محمد مجاهد ، ط: دار الغرب الإسلامي- بيروت،(٢).

٥- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥ هـ)، تحقيق/ صدقي محمد جميل، ط: دار الفكر- بيروت، عام ١٤٢٠ هـ.

٦- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (المتوفى: ٨١٧ هـ)، تحقيق/ محمد علي النجار، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

٧- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، لمحمود شكري الآلوسي ، ط: دار الكتب العلمية- بيروت.

٨- البيان في روائع القرآن د/ تمام حسان، ط: مكتبة الأسرة، (٢) عام ٢٠٠٣م.

٩- التاريخ الحسيني للأستاذ السيد/ محمود علي البلاوي، ط: التقدّم العلمية- بمصر، (١) ١٣٢٤ هـ.

١٠-تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن المهايمي، ط: مطبعة بولاق بمصر.

١١-التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين لطاهر بن محمد الأسفراييني، أبي المظفر (المتوفى: ٤٧١ هـ)، تحقيق/ كمال يوسف الحوت، ط: عالم الكتب - لبنان، (١) ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م.

١٢-التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، ط: دار سحنون – تونس.

١٣-ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني، تحقيق: د/ سعيد بن أحمد الأفندي، ط: مؤسسة المختار (١) ١٤٢٨ هـ =٢٠٠٧م.

١٤-التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]، للشيخ/ محمد عزت دروزة، ط: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، عام ١٣٨٣ هـ

١٥-تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) للسيد محمد رشيد رضا، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ١٩٩٠ م.

١٦-تفسير القرآن الكريم للشيخ/ محمود شلتوت ، ط: دار الشروق (١١) ١٤٠٨ هـ =١٩٨٨م.

١٧-تفسير المراغي للأستاذ/ أحمد بن مصطفى المراغي، ط: مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر (١) ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦م.

١٨-التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط: دار الفكر المعاصر – دمشق، (٢) ١٤١٨ هـ.

١٩-التفسير الوسيط للقرآن الكريم أ. د/ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر السابق، ط: دار السعادة، بدون تاريخ.

٢٠-التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، أ.د/ عبد الغفور محمود مصطفى جعفر، ط: دار السلام (٢) ١٤٣٣ هـ.

٢١-التفسير والمفسرون للدكتور/ محمد حسين الذهبي، ط: دار الحديث – القاهرة.

٢٢-توفيق الرحمن في شرح أنواع من علوم القرآن، أ.د/ حمودة محمد داود سند، ط: دار الكتب الدينية (١) ١٤٠٧ هـ =١٩٨٦م.

٢٣-الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي، تحقيق: د/ محمد إبراهيم الحفناوي، د/ محمود حامد عثمان، ط: دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٨ هـ=٢٠٠٧م.

٢٤-الجانب النفسي من التفكير البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، أ.د/ إبراهيم محمد عبد الله الخولي، ط: إصدار الشركة العربية للطباعة، عام ١٩٩٣م.

٢٥-حاشية الصاوي على الجلالين لأحمد أحمد الصاوي، تحقيق/ عبد الله المنشاوي، ط: دار الحديث القاهرة، عام ١٤٣٢ هـ = ٢٠١١م.

٢٦-خواطر حول القرآن الكريم للشيخ محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨ هـ)، ط: دار أخبار اليوم.

٢٧-دراسة في علم العقيدة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنّة تأليف/ أحمد علي الملّا ، ط: دار اليمامة- دمشق، (١) ١٤٠٦ هـ=١٩٨٦م.

٢٨-دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق/ أبو فهر: محمود محمد شاكر، ط: المدني بالقاهرة، (٣) ١٤١٣ هـ =١٩٩٢م.

٢٩-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لمحمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠ هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، (١) ١٤١٥ هـ.

٣٠-زهرة التفاسير للشيخ محمد أبي زهرة ، ط: دار الفكر العربي، بدون تاريخ.

٣١-صفوة البيان لمعاني القرآن للشيخ/ حسنين محمد مخلوف، ط: مجلة الأزهر، شهر المحرم ١٤٤٤ هـ،

٣٢-العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع د/ محمد بيصار، ط: مكتبة الأنجلو المصريّة، (٣) عام ١٩٧٢م.

٣٣-فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للطيبي، ط: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، (١) ١٤٣٤ هـ =٢٠١٣م.

٣٤-فلسفة المعرفة في القرآن الكريم للأستاذ/ علي عبد العظيم، ط: مجلة الأزهر، شهر ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ.

٣٥-اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي، تحقيق/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط: دار الكتب العلمية – بيروت (١) ١٤١٩ هـ =١٩٩٨م.

٣٦-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، تحقيق/ عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: دار الكتب العمية – بيروت، (١) ١٤٢٢ هـ .

٣٧-المدخل إلى التفسير الموضوعي: مناهج ونماذج، أ.د/ عبد الستار فتح الله سعيد صـ ٢٠، ٤٣، ط: مكتبة الإيمان، (٥) ١٤٣٢ هـ= ٢٠١١م.

٣٨-مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع للسيوطي، ط: دار المنهاج – الرياض، (١) ١٤٢٦ هـ.

٣٩-مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن تأليف/ علي عبد العظيم ، ط: الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية، عام ١٣٩٨ هـ =١٩٧٨م.

٤٠-معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، (١) ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٤١-مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير لفخر الدين الرازي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، (٣) ١٤٢٠ هـ.

٤٢-مفتاح العلوم للسكاكي، تحقيق/ نعيم زرزور، ط: دار الكتب العلمية –بيروت، (٢)١٤٠٧ هـ -١٩٨٧م.

٤٣-مفتاح العلوم للسكاكي، تحقيق/ نعيم زرزور، ط: دار الكتب العلمية –بيروت، (٢)١٤٠٧ هـ -١٩٨٧م.

٤٤-مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق/ صفوان عدنان، ط: دار القلم- بيروت، (١) ١٤١٢ هـ

٤٥-مقالات في التجديد تقديم فضيلة الإمام الأكبر/ أحمد الطيب شيخ الأزهر، صـ ٥٢، ط: مجلس حكماء المسلمين (٢) ١٤٣٩ هـ =٢٠١٨م.

٤٦-مقدمة ابن خلدون، ط: المطبعة الشرقية.

٤٧-من مداخل التجديد، أ.د/ محمد محمد أبو موسى، صـ ١٠، ط: مجلس حكماء المسلمين (١) ١٤٣٩ هـ =٢٠١٨م.

٤٨-مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، ط: دار الحديث القاهرة، عام ١٤٢٢ هـ =٢٠٠١م.

٤٩-الموسوعة القرآنية المتخصصة، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية عام ١٤٣٠ هـ=٢٠٠٩م.

٥٠- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم د/ محمد عبد الله دراز، ت: الشيخ/ أحمد مصطفى فضلية، ط: دار القلم- القاهرة، (١٠)١٤٢٩ هـ =٢٠٠٨م.

٥١-نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي، ت/ محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ط: مؤسسة الرسالة- بيروت (١) ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.

٥٢-نظرات في الإسلام أ.د/ محمد عبد الله دراز، ط: هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، مجلة الأزهر عدد ذو القعدة ١٤٣٦ هـ.

٥٣-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥ هـ)، ط: دار الكتاب الإسلامي- القاهرة.

٥٤-الوحي المحمدي للسيد محمد رشيد رضا، ط: دار المنار بمصر، عام ١٣٥٤ هـ.

فهرس الموضوعات

المحتويات

المقدمـــة ٤١
الدراسات السابقة ٤٣
منهجي في البحث ٤٣
أهداف البحث ٤٣
تمهيـــد ٤٥
المبحث الأول: الشيخ علي البيلاوي، وكتابه: إعجاز القرآن ٤٨
المطلب الأول: الشّيخ/ عَليّ البِيْلاوِي: حَياتُهُ وآثارُهُ ٤٨
اسْمُه ونَسَبُهُ ومَوْلِدُه ٤٨
نَشْأتُه وتَكْوينُه العِلْمِي ٤٨
الوظائف التي تولاها ٤٩
مؤلفاته ٥٠
وفاته ٥٠
المطلب الثاني: مَنْهَجُ الشّيْخِ البيلاوي في (إعْجازِ القُرآنِ) ٥١
الأولى: الْعَرَبُ والْإِعْجَازُ ٥١
الثانية: القرآن والإعجاز ٥١

الثالثة: الْبَلَاغَةُ والْإِعْجَازُ..... ٥٢

الرابعة: خَصائِصِ الْأُسْلُوبِ القُرآنِي..... ٥٢

المبحث الثاني: الإعْجاز القرآني وصِلَتُه بالتّفْسير المَوضُوعِي..... ٥٤

المطلب الأول: حَديثُ القُرآنِ عنِ القُرآنِ..... ٥٥

المطلب الثاني: حَدِيثُ القُرآنِ عنِ الوَحْيِ..... ٦٠

المطلب الثالث: حَديثُ القُرآنِ عنَ العَقيدَةِ..... ٦١

المبحث الثالث: أَثَرُ الإعْجازِ القرآني في العَلاقاتِ الإنْسَانِيّةِ..... ٦٤

المطلب الأول: تكوين العقلية الإنسانية الإسلامية، عن طريق الذوق وتنمية المواهب...٦٤

المطلب الثاني: الإعجاز البلاغي ومستجدات العصر: رؤية قرآنية في آيات التحدي ٦٨

الأول: الإعجاز البلاغي وتوثيق الأخوة الإنسانية ٦٩

الثاني: الإعجاز البلاغي وتفنيد الأفكار الهدامة..... ٧٠

الثالث: الإعجاز البلاغي وعوامل البناء الحضاري ٧٢

الرابع: الإعجاز البلاغي وتحقيق الكرامة الإنسانية..... ٧٣

الخاتمة..... ٧٧

فهرس المصادر والمراجع..... ٨٠

فهرس الموضوعات ٨٦